اثا كريستي

الرجل الغامض



دار القلم
بيروت - لبنان

الرجل الغامض

الطبعة الاولى
شباط ــ فبراير ــ ١٩٧٥
الطبعة الثانية
تموز ــ يوليو ــ ١٩٧٧
الطبعة الثالثة
. أغسطس ــ ١٩٧٨

اغاتا كريستي

الرجل الغامض

دار الكتب الشعبية
بيروت - لبنان
ص.ب : ٣٨٧٤

الفصل الأول

مستر كوين

كان ذلك في عيد راس السنة الميلادية .

وكان الاعضاء الكبار المدعوون الى حفلة عيد الميلاد مجتمعين في القاعة الكبرى بمنزل رويستون .

وكان المستر ساترويت سعيدا لانصراف الصغار الى مضاجعهم ، لانه لم يكن يحب دعاباتهم الصبيانية في مثل هذه المناسبات .

انه رجل في الثانية والستين من عمره ، جاف العود محني القامة بعض الشيء ، ينم وجهه على الفضول الشديد ، والاهتمام البالغ بما تنطوي عليه حياة الناس من اسرار . ويمكن القول انه عاش حياته كلها وهو جالس في الصف الامامي يرقب ما يجري على مسرح الحياة ويشاهد الطبائع البشرية وهي تتكشف امام عينيه . ولكنه الان فقط بعد أن أصبح

في قبضة الشيخوخة ، وجد نفسه شديد الميل الى التخلي عن موقف المشاهد ، ثم الاشتراك في مسرحية الحياة نفسها !

ولم يكن ثمة ادنى شك في انه متمتع بالمواهب التي تمنحه الحق في هذه المشاركة ، فقد كان يدرك ، بالفريزة ، متى تتجمع العناصر التي تنبيء بوقوع حادث مثير من احداث الحياة . اي انه ، كحصان الحروب يشتم رائحتها . ومنذ وصوله الى منزل رويستون في اصيل ذلك اليوم ، وهو يشم رائحة حادث مثير على وشك الوقوع .

ولم يكن عدد الذين دعوا الى الحفلة كبيرا ، وكان بينهم توم ايفشام صاحب البيت ، وهو رجل لطيف ودود ، وزوجته المهتمة بالشؤون السياسية ، والتي كانت ، قبل زواجها منه ، تدعى الليدي لوراكين . وكان بينهم ايضا السير ريتشارد كونوي ، الجندي ، والرحالة ، والصياد البارع . هذا بالاضافة الى بعض الشبان والشابات الذين لم يتذكر المستر ساترويت اسماءهم وكذلك آل بورتال !

وكان المستر والمسز بورتال هما في الواقع موضع اهتمام المستر ساترويت . انه لم يكن قد راى اليكس بورتال من قبل ، ولكنه كان يعرف عنه كل شيء . كان يعرف اباه وجده . وكان اليكس ، مثل اسلافه ، ذهبى الشعر ، أزرق العينين ، في نحو الاربعين من عمره ، مشغوفا بالرياضة والصيد ، واقعيا في تفكيره وسلوكه . وعلى الجملة لم يكن فيه ما ينم على الشذوذ ، وانما هو رجل انجليزى عادى متزن سليم التفكير .

ولكن زوجته كانت تختلف عنه . فهي ، كما عرف المستر ساترويت ، استرالية الاصل وكان اليكس بورتال قد التقى بها هناك في استراليا اثناء رحلة له هناك ، فتبادلا الحب ، ثم عاد هو بها الى انجلترا . ولم تكن قد شاهدت انجلترا قبل زواجها . ومع هذا فقد احس المستر ساترويت ، بغريزته ، انها ليست كالاستراليات اللاتى شاهدهن .

انه الان يرقبها خلسة ، وبدقة : امرأة مثيرة للانتباه ، جدا . فهي ، رغم سكونها وصمتها ، تفيض بالحيوية العارمة . هذا هو السر ! وهي وان لم تكن رائعة الجمال ، الا انك لا تملك نفسك من الاحساس بجاذبيتها وسحرها . ولكن السؤال المهم الذي ظل يلح على ذهن المستر ساترويت هو : « لماذا تصبغ المسز بورتال شعرها ؟ »

لقد كانت الصبغة متقنة بحيث لا يمكن ان يلحظها الا امراة مثلها او رجل ركز انتباهه عليها مثل مستر ساترويت . وكان سر عجبه ان معظم

النساء ذوات الشعر الاسود يصبغنه باللون الذهبي ، ولكنــه لم ير في حياته امراة تصبغ شعرها الذهبي باللـــون الاســود ، كما تفعل المسز بورتال .

ان كل شيء في تلك السيدة كان يثيره ويغري فضوله . فقد خامره الشعور بأنها اما ان تكون سعيدة جدا في حياتها ، او شقية جدا ، ولكنه لم يعرف على وجه اليقين ايهما اصح ! وقد احس بالضيق لهذا السبب ، واكثر من هذا شعر بأن لها تأثيرا عجيبا على زوجها .

وقال المستر ساترويت لنفسه :

« انه يقدسها ، ولكنه ، لسبب ما ، وهذا هو العجب ، يخشاها .. »

لقد كان الواضح للجميع ان اليكس بورتال ، زوجهـا ، يسرف في شرب الخمر ، ثم يختلس النظر اليها بطريقة مثيرة للانتباه والتساؤل .

واحس المستر ساترويت ، بغريزته ، ان الحدث المرتقب سيتركز في هذين الزوجين ، اليكس بورتال وزوجته !

وافاق من تأملاته على قول صاحب البيت ، ايفشام ، بعد ان أعلنت الساعة منتصف الليل :

ـ لقد بدا الان عام جديد ، وارجو ان يكون عاما سعيدا للجميع .

وقالت زوجته الليدي لورا :

ـ ان بدء عام جديد يجعل الانسان احيانا يرتد بالذاكرة الى سنوات عمره السابقة ، والى اصدقائه الذين كان يشترك معهم في اناشيــد عيــد الميــلاد .

وهنا تململ زوجها ايفشام ، وقال :

ـ اوه .. كفي يا لورا .. ليس هذا الوقت مناسبا !

ثم مضى الى لوحة مفاتيح المصابيح الكهربائية ، واضاء مصباحا آخر ، بينما قالت زوجته الليدي لورا في لهجة اعتذار :

ـ اوه . ما اشد غبائي . لا شــك اني ذكرته بصديقه الحميم المستر كابــل .

وقالت اليانور بورتال بصوتها العذب الذي جعل المستر ساترويت يظن انه سمعه من قبل .. يوما ما :

ـ المستر كابل ؟!

ـ نعم . انه الرجل الذي كان يمتلك هذا البيت من قبل . لقد انتحر بأن أطلق على نفسه الرصاص كما تعلمون ! اوه ! انني لن اتحدث عنه اذ

ان زوجي العزيز يتألم من هذا الحديث . فلا شك انها كانت صدمة عنيفة له ، لانه كان هنا عندما انتحر صديقه المستر كابل . وقد كنت ايضا هنا يا سير ريتشارد ! اليس كذلك ؟

ــ نعم يا ليدي لورا .

وجمعت الليدي لورا ادوات التطريز بين يديها ، ثم قالت وهي تنظر الى مسز بورتال :

ــ لقد انتهى الاحتفال بعيد راس السنة . فماذا نفعل الان ؟

فنهضت اليانور بورتال بسرعة ، وقالت في غير اهتمام :

ــ الى الفراش فورا .

وقال المستر ساترويت لنفسه ، وهو يوقد لها قنديلها :

« انها تبدو شديدة الامتقاع ، ولم تكن كذلك عادة » .

وتناولت منه القنديل في صمت ، ومضت ببطء نحو السلم المؤدي الى الطابق الاعلى .

وفجأة احس المستر ساترويت برعدة تسري في كيانه ، وبالرغبة في المضي وراءها ليطمئنها . نعم فقد كان يشعر انها معرضة لخطر مـــا . ولكنه لم يلبث ان احس بالخجل من نفسه . فلا شك ان اعصابــه الليلة ليست كما ينبغي . ولكنه رآهــا ، قبل أن تصعد تتلفت وراءها ، وتلقي على زوجها نظرة طويلة مركزة ..

وقالت الليدي لورا وهي تصافح المستر ساترويت قبل ان تمضي :

ــ عيد ميلاد سعيد ، وارجو ان يكون اول رجل يدخل بيتنا الليلة او غدا ، اسمر اللون ، اسود الشعر . فانت تعرف هذه الخرافة يا مستر ساترويت ، عجبا !! الا تعرفها ؟ انه يقال ان الرجل الاسمر الذي يكون اول داخل الى البيت في عيد راس السنة يجلـب معه الحظ السعيـــد لاصحاب البيت .

وبعد انصراف السيدتين ، تقارب الرجال الاربعة حول نار المدفأة ، وراحوا يتبادلون الحديث في شتى الموضوعات حتى طرقـوا الحديث عن صاحب البيت الاسبق ، المنتحر ، فقال السير ريتشارد كونوي :

ــ كنت تعرف ديريك كابل يا مستر ساترويت ، أليس كذلك ؟!

ــ نعم . قليلا .

وانت يا بورتال ؟

ــ لا ، لم أره قط .

وقد قالها اليكس بورتـال بعنف جعل المستر ساترويت يلتفت اليه فجأة مندهشا .

وقال ايفشام ببطء :

ـ انني اكره دائما ان تشير زوجتي لوزا الى هذا الموضوع . فان هذا البيت ، بعد الحادث ، بيع لرجل اعمال ثري ، ولكنه بعد عام بدأ يعـلن عن بيعه بثمن مخفض ، وكثرت الشائعات عن وجود شبح فيه .. شبح صاحبه المنتحر . ولما دفعتني لورا لترشيح نفسي عن دائرة كيديلبي ، اضطررنا للبحث عن منزل مناسب للاقامة في هذه المنطقة ، واغراني ثمن هذا المنزل المنخفض ، فاشتريته ، وسواء صدقت الشائعات عـن وجـود الشبح فيه أم لم نصدق ، فان الانسان لا يحب ان يتذكر دائما انـه يقيم في منزل انتحر فيه صديق سابق له . مسكين ديريـك كابل . اننـا لن نعرف ابدا لماذا قتل نفسه !

فقال اليكس بورتال بصوت مثقل بالخمر :

ـ انه ليس اول ولا آخر رجل ينتحر بلا سبب معقول .

وقال المستر ساترويت لنفسه ، وهو يتأمل وجه اليكس بورتال :

« ان هذا الرجل ليس في حالته الطبيعية .. مطلقا !! لشـد مـا اتمنى لو اعرف ماذا يهربه ! »

وقال ريتشارد كونوي :

ـ يا الهي . انصتوا الى عويل الرياح ! انها ليلة عاصفة !

وقال بورتال في ضحكة مستهترة :

ـ ليلة تصلح لان تكون مرتعا للاشباح . يبدو ان جميـع شياطين الجحيم قد خرجت تعربد هذه الليلة .

وهنا ضحك السير ريتشارد كونوي ، وقال :

ـ بناء على اقوال لورا ، فان اشد هذه الشياطين سوادا سوف يجلب لنا الحظ لو دخل الان .. آه . ما هذا !

وكان صفير الرياح قد ارتفع الى طبقة الصراخ ، ثم بدأ يتلاشى رويدا رويدا عندما سمع الجميع ثلاث طرقات عالية على باب المنـزل الخشبي الضخم .

وقال توم ايفشام في دهشة :

ـ ترى من يكون الطارق ، بحق الشيطان ، الان ؟!

وبعد ان حملق كل منهم في وجه الاخر ، اردف هو قائلا :

ـ لسوف افتح الباب بنفسي . فان الخدم الان نيام .
واندفعت الرياح الباردة الى الداخل عندما فتح الباب ، ورأى امامه رجلا طويلا نحيل الجسم ، ملوح البشرة ، يرتدي ملابس قيادة السيارات، وتقدم هذا الرجل الى الداخل ، وهو يقول مبتسما في لهجة اعتذار :

ـ معذرة ايها السادة ، فان سيارتي تعطلت فجاة ، وقد تركت سائقها يحاول اصلاح الخلل بها . وربما استغرق هذا الامر ساعة او أكثر ، والجو في الخارج قارس البرد ، ومن ثم رايت ان ..
وتوقف عن الكلام فجاة ، فقال ايفشام متمما حديثه :
ـ نعم . نعم . تفضل بالدخول واشرب معنا كأسا . اخشى الا نستطيع ان نقدم لك اية مساعدة لاصلاح السيارة .
ـ حسنا . ان السائق يجيد اصلاح السيارات بوجه عام .. واسمي، بهذه المناسبة ، كوين .. هارلي كوين .
ـ اجلس يا مستر كوين .. اقدم لك السير ريتشارد كونوي ، والمستر اليكس ورتال ، والمستر ساترويت ، وانا توم ايفشام .
وتبادل المستر كوين التحية مع كل منهم ، ثم جلس بالقرب من المدفأة ، وبعد ان تقبل الكأس المقدمة اليه من توم ايفشام شاكرا ابتدره قائلا :
ـ اذن فانت يا مستر كوين تعرف هذه النواحي جيدا !
ـ مررت بها منذ بضعة اعوام خلت . وكان هذا المنزل ملكا لرجل اسمه المستر كابل .
ـ اوه . نعم . ديريك كابل المسكين . اكنت تعرفه ؟.
ـ نعم ، كنت اعرفه .
وتغير موقف ايفشام من الرجل الغريب في الحال . فبعد ان كان متحفظا ، كعادة الانجليز ، معه . اذا به يلقى التحفظ جانبا ، بعد ان عرف ان هذا الغريب كان صديقا لصديقه الراحل ديريك كابل ، ومن ثم قال :
ـ هذا عجيب . لقد كنا نتحدث عنه الان ! وقد كنت في هذا البيت عندما قتل نفسه وكذلك كان ريتشارد كونوي . ورغم اني لا اؤمن بالاشباح ، فاني أتوقع بين لحظة واخرى ان ارى شبحه يقتحم علينا هذه القاعة .
ـ الواقع ان ذلك الحادث كان مفاجئا ، ولا تفسير له على الاطلاق .
فهتف ريتشارد كونوي في حماس :

ـ انه سر غامض عجيب . فقد كان ديريك كابل في اوج الحيـــاة ، سعيدا ، لا يشغله هم من هموم الحياة . وكان قد دعا خمسة او ستـــة من الاصدقاء الى ضيافته ، وكان اثناء وجبة العشاء في احسن حالاتــــه النفسية والمعنوية ، لا يكاد يكف عن الخوض في الحديث عن مشروعاتـه المستقبلة . لكن ما كاد ينتهي العشاء ، حتى صعد فورا الى غرفته بالطابق الاعلى وتناول مسدسه ، ثم قتل به نفسه . لماذا ؟ لا احد يعرف ، ولـن يستطيع احد ان يعرف ابدا .

فقال المستر كوين باسما :

الا ترى ان الانسان لا يستطيع ان يتأكد من هذه الحقيقة يا سـير ريتشارد ؟

ـ ماذا تعني ؟

ـ ليس من الضروري ان يكون اللغز مستعصيا على الحل لان احدا لم يستطع ان يحله !

ـ اوه . اذا لم يستطع احد ان يحل هذا اللغز في حينه ، فهل يعقل ان يتمكن من حله بعد عشر سنوات من وقوع هذا الحادث ؟

وهز المستر كوين رأسه برفق ، وقال :

ـ انني لا اتفق معك في هذا . فان مرور الزمن في كثير من الاحيـان يجعل المؤرخ اقدر على فهم الاحداث وادراك اسبابها ومسبباتها . والمهم هو ان ننظر الى المشكلة نظرة شاملة ، نظرة تحيط بكل جوانبها ، و ..

وهنا صاح بورتال قائلا :

ـ انك على حق يا مستر كوين ! ان الزمن لا يهمل المشكلة ، وانمـا يجعل الانسان ينظر اليها من زاوية مختلفة ، او جديدة .

وابتسم ايفشام ، ثم قال :

ـ هل تعني يا مستر كوين اننا ، مثلا ، لو عقدنا من انفسنـا لجنـة تحقيق الليلة ، وتناولنا ، بالبحث ، الظروف والملابسات التي احاطـت بمقتل ديريك كابل ، فهل تعتقد اننا قد نعرف الحقيقـة كما لو كنا قـد بحثنا الامر عند وقوع الحادث ؟

ـ بل الاحتمال الان اقوى يا مستر ايفشام ، لان النزعات الشخصية لن يكون لها وجود ، ولاننا سننظر الى الحقائق على انها حقائق فقط دون ان ننحرف بأفكارنا ومشاعرنا ونزعاتنا الخاصة .

ولما لاح الشك على وجه المستر ايفشام ، استطرد المستر كويـن

قائلا :

ــ وعلى الانسان في هذه الحالة ان يبحث عن النقطة التي يبدأ منها . ونقطة البدء تقوم عادة على نظرية ما . ولا شك ان لكل منكم رأيه او نظريته الخاصة عن هذا الحادث . فما رأيك انت ، مثلا ، يا سير ريتشارد ؟!

فقطب ريتشارد كونوي ما بين حاجبيه منكرا ، ثم قال :

ــ آه ! نعم طبعا ، لقد ظننا بطبيعة الحال ان في الامر امراة ، او ازمة مالية . والثابت ان حالة كابل المالية كانت ممتازة . اذن فماذا يمكن ان يكون السبب غير المراة ؟

وجفل المستر ساترويت قليلا في تلك اللحظة ، وكان قد انحنى الى الامام ليدلي بملاحظة بسيطة ، ولكنه فوجىء حين لمح جسم امراة منكمشة على نفسها في ركن الشرفة العليا بحيث لم يكن احد يراها الا من حيث يجلس هو . وكان وضعها ينم بوضوح على انها كانت ترهف اذنيها تسترق السمع الى كل ما يقال .

وعرفها بسهولة عن طريق ثوبها .. انها اليانور بورتال .

وفجأة بدا كل شيء واضحا امامه . فان وصول المستر كوين في تلك اللحظة لم يكن مجرد مصادفة ، وانما اقرب ما يكون الى ظهور الممثل على المسرح عندما يأتي دوره . وان هذه القاعة ، في تلك الليلة ، لتبدو في نظر المستر ساترويت كمسرح تجري عليه احدى مسرحيات الحياة العنيفة ، وذلك رغم ان الممثل الاول فيها ، رجل مات منتحرا منذ عشر سنوات . نعم . ان ساترويت واثق تماما بأن لديريك كابل دورا رئيسيا في احداث هذه المسرحية التي تجري امام عينيه .

ومرة اخرى ازدادت الحقائق وضوحا امام عينيه فجأة . ان هذا كله من صنع المستر كوين . انه هو الذي اعد خشبة المسرح ، وهو الذي يوزع الادوار على الممثلين ، ويعيش في قلب المسرحية ، ويشد خيوطها غير المنظورة ، ويوجه الممثلين حسبما يريد ، ويعرف كل شيء ، حتى تلك المراة المنكمشة على نفسها في الشرفة تسترق السمع .

ورأى المستر كوين ان يستطرد في تحريك الممثلين على مسرحه بقوله :

ــ نعم . ان في الامر امراة طبعا . ولا شك انكم تحدثتم اثناء العشاء عن المراة ، او عن امراة معينة !

فهتف ايفشام قائلا :

ـ عجبا ! طبعا طبعا . لقد اعلن لنا اثناء العشاء عن انه يعتزم خطبة فتاة ، وهذا ما جعل انتحاره يزداد غموضا ، بل وجنونا . وكان سعيدا جدا ، وهو يلمح لنا عن الخطيبة الحسناء ، ويقول ان الخطبة سوف تعلن رسميا بعد فترة معينة من الوقت لاسباب خاصة .

وقال ريتشارد كونوي :

ـ قد عرفنا بداهة ، من هي هذه الخطيبة المنتظرة ، انها كانت ماجوري ويلك ، فتاة لطيفة حسناء فعلا .

وهنا التفت المستر كوين الى ايفشام ، وقال متسائلا :

ـ اهذا هو رايك يا مستر ايفشام ؟

ـ انني لا ادري على وجه اليقين . لقد اعلن لنا انه خطب فتاة جميلة ، وانه لاسباب خاصة لن يعلن الخطبة رسميا الا بعد فترة معينة ، وانه لا يستطيع ان يذكر لنا اسم الخطيبة الا بعد موافقتها . ولكن المهم انه وصف نفسه بانه رجل محظوظ جدا ، وانه يريد ان يجعلنا ، كصديقين له ، ندرك انه سيكون في العام التالي رجلا من اسعد الناس في حياته الزوجية ، وبطبيعة الحال افترضنا ان الخطيبة هي ماجوري . فقد كانت علاقته بها وطيدة .

وعندئذ قال ريتشارد كونوي مترددا :

ـ ولكن العجيب في الامر ، انه اذا كانت الخطيبة هي ماجوري ويلك حقا ، فلماذا كان يخفي اسمها عنا ؟ ولماذا كان يؤجل اعلان الخطبة رسميا فترة من الوقت ؟ لقد بدا لي عندئذ ان خطيبته سيدة متزوجة ، ومات زوجها حديثا ، او طلقت منه .

فقال ايفشام :

ـ هذا اقرب الى المنطق الصحيح . وما دام الامر هكذا ، فمن الطبيعي أن يتكتم ديريك كابل اسم الخطيبة ولا يعلن الخطبة رسميا الا في الوقت المناسب . واذا انتم عدتم بالذاكرة الى ذلك العهد لتبينتم انه لم يكن يلتقي بمارجوري كثيرا . واني لأتذكر الان ان العلاقة بينهما قد فترت كثيرا قبل وفاته بعام تقريبا .

فقال المستر كوين :

ـ هذا عجيب !

ـ نعم . لقد بدا كانما دخلت في حياته امراة اخرى .

فقال ريتشارد كونوي متأملا :

ـ امرأة اخرى !

وهتف ايفشام :

ـ بحق السماء . لقد كان ديريك في تلك الليلة سعيدا الى حد النشوة والترنح من فرط السعادة . كان يبدو كمن شرب كأس الهناء المقدس ، وفوق هذا كان يبدو ايضا كالذي يتحدى الحياة والقدر .

ورفع المستر ساترويت عينيه الى اعلى . آه ! نعم . ان اليانـور بورتال لا تزال مكومة على نفسها تسترق السمع ، وكأنها ، في سكونها التام ، جثة هامدة .

وقال ريتشارد كونوي :

ـ هذا صحيح تماما . لقد كانت عواطف ديريك مهتاجة بالسعادة ، ويمكن القول انه كان كالمقامر الذي لعب بكل ثروته ثم ربح رغم الاحتمال الضئيل في الربح .

وهنا قال بورتال :

ـ أو لعله كان يستمد شجاعته مما عقد العزم عليه !

فقال ايفشام بعنف :

ـ لا ، لا ، ليس الامر كذلك ، ويمكنني ان اقسم أن شيئا من هـذا لم يخطر بباله . ان كونوي أقرب الى الصواب . لقد كان ديريك يبدو كالمقامر الذي ربح بضربة حظ اكثر مما كان يتوقع ، ولهـذا فهو لا يكاد يصدق انه ربح فعلا .

وعندئذ هز كونوي كتفيه ، وقال :

ـ ومع ذلك فقد انتحر بمسدسه بعد عشر دقائق .

وخيم الصمت على الجميع ، وفجأة ضرب ايفشام المائدة بقبضة يده ، وقال هاتفا :

ـ لا بد ان شيئا ما قد حدث في هذه الدقائق العشر . لا بد ... ولكن ما الذى حدث ؟ فلنحاول ان نفكر فيما حدث بامعان . لقد كنا جميعا نتحدث ، وفي منتصف الحديث ، نهض كابل وصعد الى غرفته .

ـ لماذا ؟!

فقطب ابفشام جبينه مفكرا ، ثم قال :

ـ لم نهتم في ذلك الحين بالسبب ، أوه .. انه ساعي البريد . الا تذكر يا كونوي كيف انفعلنا عند سماعنا صلصلة الجرس ، وكنا في ذلـك

الحين محبوسين في البيت بسبب انهمار الثلوج وتراكمها حوله لمدة ثلاثة ايام ؟! لقد حدثت في تلك الايام عاصفة ثلجية لم يحدث مثلها منذ اعوام واعوام . وكانت الطرق كلها مغلقة بسبب تراكم الثلوج ، فلا رسائل تصلنا ، ولا صحف او مجلات ، ولما صلصل الجرس ، ذهب ديريك كابل ليفتح الباب ، وما لبث ان عاد بكومة من الرسائل والصحف . وفتح احدى الصحف ليرى هل وقعت احداث مثيرة ، ثم صعد بالرسائل الى غرفته ، وبعد ثلاث دقائق سمعنا الطلق الناري ! شيء لا يمكن تفسيره ابدا .

فقال بورتال :

ـ بل من الممكن تفسيره . فلعل كابل قرأ نبأ لم يكن يتوقعه في احدى الرسائل .

فقال كونوي :

ـ اتظن اننا لم نفكر في هذا الاحتمال ؟ لقد كان هذا اول سؤال القاه المحقق علينا . ولكن ثبت انه لم يفتح رسالة واحدة ، فقد ظلت رزمة الرسائل بكاملها على مائدة الخزينة دون ان يفتح منها واحدة .

فقال بورتال مترددا :

ـ هل انتم واثقون تماما انه لم يقرأ رسالة منها ثم دمرها او تخلص منها بعد ذلك ؟

ـ هذا احتمال لم نغفل عنه ايضا ، ولكننا لم نر في غرفته او في المدفأة او في اى مكان بالبيت بقايا رسالة ممزقة او محترقة .

ـ هذا عجيب . عجيب جدا .

وقال ايفشام بصوت خفيض :

ـ ان الحادث في جملته كان رهيبا ، مفاجئا ، لا معنى له . ولشد ما كانت صدمتنا حين صعدت انا وكونوي اليه بعد ان سمعنا الطلقة النارية ، ووجدناه جثة هامدة .

فقال المستر كوين :

ـ ولم يكن في وسع احدكما ان يفعل شيئا غير الاتصال تليفونيا بمركز البوليس .

ـ لم يكن بالمنزل تليفون في ذلك الحين . ولكن حدث ، لحسن الحظ ان كونستابل المنطقة كان في المطبخ عندئذ . اتذكر يا كونوي ؟ لقد ضل احد كلاب ديريك كابل ، طريقه في الثلوج ، في اليوم السابق ، انه كلب

العجوز روفر ، وعثر عليه احد الرجال ونصفه مدفون في الجليد ، فحمله الى مركز البوليس حيث تعرف عليه الكونستابل وعرف انه احد كلاب المستر كابل الاثيرة لديه ، فحمله في اليوم التالي الى البيت . وكان وصول الكونستابل بعد صعود كابل الى غرفته بدقيقتين تقريبا ، لانني اذكر اننا سمعنا الطلق الناري بمجرد دخوله الى المطبخ ليصنع لنفسه قدح شاي . يا لله ! لقد انقذ وجود هذا الكونستابل موقفنا من الحرج الشديد .

وقال كونوي مرتدا بذاكرته الى تلك الايام :

ــ يا للهول ! ما افظع تلك العاصفة الثلجية التي كانت تهب يومذاك! اعتقد اننا كنا في اوائل شهر يناير .

ــ لا .. كنا في شهر فبراير ، لاننا قمنا برحلة الى خارج البلاد بعد الحادث بوقت قصير .

انني واثق ان الوقت كان في شهر يناير ، لان العجوز « نيد » حارس الصيد في مزرعتي ــ اتذكر نيد ؟ ، أصيب في ساقه ، وكان ذلك في أواخر شهر يناير ، بعد الحادث بأيام عديدة .

ــ اذن لا بد ان ما حدث كان في اواخر شهر يناير . حقا ما اصعب ان يذكر الانسان التاريخ الصحيح لمثل هذه الاحداث بعد مرور سنوات عدة .

وهنا قال المستر كوين :

ــ ان هذا من اصعب الاشياء على الذاكرة فعلا . ولكن الانسان قد يتذكر في دقة حادثا معينا في حياته اذا كان حدوثه في اثناء وقوع حادث عام مثير ، مثل مقتل ملك او نظر قضية كبيرة .

فصاح كونوي :

ــ نعم . نعم . ما اعجب هذا . لقد وقع الحادث قبل قضية ابلتون مباشرة .

ــ تعني بعدها مباشرة ؟

ــ لا لا . الا تذكر ؟ لقد كان ديريك كابل يعرف آل ابلتون . كان قد امضى الربيع الاسبق مع العجوز ابلتون ، اى قبل موته باسبوع . والواقع ان ذلك العجوز أبلتون كان رجلا بغيضا ، ولا شك ان زوجته الشابة الحسناء عانت الكثير في حياتها معه . ولم يكن ثمة ما يدعو الى الريبة يومذاك في انها هي التي دست السم له .

فقال ايفشام :

ـ آه ! نعم . بحق السماء . انني اتذكر الان اني قرات فقـرة في الصحيفة التي احضرها ساعي البريد مع رسائل ديريك كابل ، جاء فيهـا ان امرا صدر باستخراج جثة العجوز ابلتون لتشريحها ومعرفـة سبب الوفاة . لقد قرات هذا النبأ بغير اهتمام لاني كنت افكر وقتئذ في جثـة صديقي ديريك الهامدة ، الملقاة في غرفته بالطابق الاعلى .

فقال المستر كوين :

ـ هذه ظاهرة فكرية عجيبة رغم شيوعها ، فان التفكير في ساعـة الازمات كثيرا ما يتركز في اشياء تافهـة تظل عالقة بذهن الانسان سنـوات عديدة . ويبدو انها تنقش في الذهن بسبب حالة الانفعال الشديد الذي يعانيه الانسان في ساعة الازمة .

فقال كونوي :

ـ صدقت يا مستر كوين ، فقد احسست فجأة ، وانت تتحدث الان ، اني انتقلت الى غرفة ديريك كابل ، حيث كان ملقى على الارض جثـة هامدة ، وقد رايت بوضوح الشجرة الكبيرة القائمة امام النافذة ، وظلالها على الثلوج من تحتها .

ـ نعم ، كل شيء يتراءى لي الان خارج النافذة واضحـا في ضوء القمر .. الشجرة ، والظلال ، والارض المكسوة بالجليد ، عجيبا .. اني اكاد ارى كل شيء امامي الان .. انني استطيع ان ارسمها بدقة . ومـع ذلك فلم اكن ادري حينذاك اني تعمدت النظر الى هذا كله .

فسأل المستر كوين :

ـ كانت غرفته هي القائمة فوق الشرفـة السفلى الكبـيرة ، اليس كذلك ؟

ـ نعم . وكانت الشجرة ـ شجرة زان كبيرة ـ قائمـة في منعطـف الممر المؤدي الى البيت .

وأومأ كوين براسه . وازداد انفعال المستر ساترويت وهو يدرك ان كل كلمة وكل نبرة في صوت المستر كوين تحمل في طياتها معنى معينا . لقد كان يهدف الى شيء ما . ولكن المستر ساترويت لم يكن يعرف على وجه اليقين ، ما هو ذلك الشيء .

وبعد لحظة ساد فيها الصمت ، عاد ايفشام الى الحديث عن الموضوع السابق :

ـ انني اتذكر قضية ابلتون الان . ما اشد الضجة الاجتماعية التي

اثارتها يومذاك ، ولكن المسز ابلتون الحسناء نجت بجلدها من حبل المشنقة ، أليس كذلك ؟ لقد كانت جميلة ، شقراء ذهبية الشعر الى حد يجبر الانسان على التطلع لمفاتنها .

وخيل الى المستر ساترويت انه رأى المرأة التي تسترق السمع في الشرفة العليا تزداد انكماشا على نفسها ، ولكنه فوجىء بصوت كأس يتحطم على الارض ، فالتفت ليرى اليكس بورتال يقول في اضطراب واعتذار :

ـ انني آسف . لقد وقعت الكأس من يدي ، ولا ادري ماذا دهاني .

فقال ايفشام ليهدىء من روعه :

ـ لا عليك يا صديقي العزيز . هذا عجيب ، ان تحطم هذه الكأس يذكرني بشيء ما في قضية ابلتون . آه .. لقد حطمت المسز ابلتون قنينة حفظ الشراب التي تعود زوجها ان يشرب منها كأسا كل ليلة .

ـ نعم . نعم . لقد شاهدها احد الخدم تأخذ القنينة ـ بعد وفاة زوجها بيوم ـ وتحطمها عمدا . وقد اثار تصرفها هذا تعليقات الخدم بطبيعة الحال . فقد كانوا جميعا يعلمون انها شقية في حياتها مع زوجها . وازدادت الاقاويل ، وانتشرت الشائعات ، واخيرا ، بعد شهر من الوفاة ، قدم بعض اقارب المتوفي طلبا لاستخراج الجثة وتشريحها . وكانت المفاجأة الكبرى ان التشريح اثبت ان وفاة الزوج العجوز بسم الزرنيخ . اليس كذلك ؟

ـ لا .. بل بالاستركنين ، على ما اذكر . ولكن ليس هذا مهما ، وانما المهم انه مات مسمما ، وان الاتهام تركز في شخص واحد ، هو زوجته الشابة الحسناء . وقدمت الى المحاكمة ، ولكن اطلق سراحها لعدم كفاية الادلة لا لثبوت براءتها . والواقع ان الحظ كان معها ، فأنا لا اشك في انها هي الفاعلة . ولا ادري ماذا حدث بعد ذلك .

ـ رحلت الى كندا على ما اظن ، او الى استراليا فقد كان لها عم في مكان ما وراء البحار عرض عليها الالتجاء اليه . وخيرا فعلت .

ولاحظ المستر ساترويت كيف كان المستر بورتال يقبض على كأسه بعنف حتى لتوشك ان تتحطم بين اصابعه . اما ايفشام فقد قال وهو يملأ كأسه :

ـ حسنا .. اننا لم نعرف بعد لماذا انتحر المسكين ديريك كابل . ان التحقيق في سبب انتحاره لم يسفر عن شيء . اليس كذلك يا مستر

كويـن ؟

وهنا ارسل المستر كوين ضحكة عجيبة ساخرة اثارت دهشـة الجميع ، ثم قال :

ـ معذرة ايها السادة ، انكم لا تزالون تعيشون في الماضي بنفس مشاعركم ونظراتكم ونزعاتكم بالنسبة لحادث المسكين ديريك كابل . اما انا ، الغريب ، فاني انظر الى الحقائق المتسلسلة ، نظرة خالية من العواطف الشخصية .

فقال ايفشام :

ـ ماذا تعني يا مستر كوين ؟!

ـ هلم نرجع بأفكارنا الى سنوات عشر لنرى ماذا حدث من وجهـة النظر المحايدة .

ثم نهض بقامته الطويلة ، ووقف وظهره الى المدفاة ، وقـال بصوت هادىء كأستاذ محاضر :

ـ كنتم تتناولون العشاء ، واعلن ديريك عن خطبته ، وظننتـم انـه يقصد مارجوري ويلك ، ولكنكم الان غير واثقين بأنها هي الخطيبـة التي كان يعنيها ، وكان هو في حالة ابتهاج شديد ، كرجل استطاع ان ينجح ويتحدى القدر . ثم صلصل الجرس ، واستلم البريد الذي تأخر ثلاثـة ايام بسبب العاصفة الجليدية . وقد ثبت انه لم يفتح خطابا ، ولكنـكم ذكرتم انه فتح احدى الصحف ليقرأ اخر الانباء . وقد مضى على تلـك المشاهدات عشر سنوات ، ولعله قرأ يومذاك عن ازمة سياسية ، او زلزال في مكان بعيد ، فاننا لا ندري ؛ ولكن النبأ الذي ورد في الصحيفـة يقينـا ، هو صدور الامر الرسمي باستخراج جثـة المستر ابلتون لتشريحها ومعرفة سبب الوفاة .

ـ ماذا ؟!

واستطرد المستر كوين في حديثه قائلا :

ـ وصعد ديريك كابل بعد هذا مباشرة الى غرفته ، ومن هناك رأى شيئا من النافذة ، فقد ذكر لنا السير ريتشارد كونوي الان ان الستائر لم تكن مسدلة ، وانه راى ، عنـد صعوده الى الغرفـة بعد الحادث ، الشجرة والممر وضوء القمر على الجليد ، فماذا رأي ديريـك في تلـك اللحظة مما جعله يلجأ الى الانتحار مرغما ؟

ـ ماذا تعني ؟ ماذا عساه قد رأى ؟

ـ اعتقد انه رأى كونستابلا .. الكونستابل الذي جاء يحمل الكلب الضال ، ولكن ديريك كابل لم يكن يعرف هذه الحقيقة ، وانمـــا ظـن أن الكونستابل اتى لغرض آخر .

وصمت المستر كوين برهة حتى يجعل معاني كلماته تترسب في نفوس المستمعين ، وفجأة هتف ايفشام قائلا :

ـ يا الهي ! انك لا تعني هذا ؟ لا تعني انه قاتل العجوز ابلتون ! لقد مات الرجل بعد انصراف ديريك من ضيافته بأسبوع . وكان العجوز يقيم مع زوجته فقط عندما حدثت الوفاة .

ـ ولكنه كان هناك قبل الوفاة بأسبوع ، وكان في مقدوره ان يضـع الاستركنين في قنينة حفظ الشراب ، والاستركنين ، كما نعرف جميعا ، لا يذوب بسهولة في الكحول ، ومن ثم يترسب في قاع القنينة ، وتحدث الوفاة به عندما يشرب الانسان الكأس الاخيرة او قبل الاخيرة . فاذا كان من عادته ان يشرب في كل يوم كأسا واحدة ، فان قنينة حفظ الشراب لا تفرغ الا بعد عشرة ايام او أكثر عادة .

وهنا وثب المستر بورتال وقال بعنف :

ـ ولكن لماذا ؟ لماذا حطمت هي القنينة عمدا ؟ لماذا ؟ اخبروني لماذا ؟

ولاول مـرة اتجـه المستر كويـن بالحديث الى المستر ساترويت ، وقال له :

ـ انك واسع الخبرة بالحياة يا مستر ساترويت ، ولعلك تستطيع ان تخبرنا لماذا ؟

وتهدج صوت المستر ساترويت وهو يدرك ان عليه ، الان ، ان يلعب دوره على مسرحية الحياة هذه بعد ان ظل في مقاعد المتفرجين ، وقد قال في تواضع :

ـ اعتقد انها كانت تحب ديريك كابل ، وكانت في الوقت نفسه سيدة شريفة مخلصة لزوجها ، فطلبت من ديريك ان يرحل من البيت قبل أن تتمادى في حبه . ولما مات زوجها ، خامرها الشك في ديريك ، وظنـت انه هو الذي وضع سم الاستركنين في قنينة حفظ الشراب ، فبـادرت الى تحطيمها حتى تنقذه من المحاكمة . واعتقد انه اقنعها فيما بعد ، بانه لا اساس لشكوكها ، فقبلت الزواج به ، ولكنها طلبت منه ان يمهلها فترة من الوقت . فان للنساء عادة غرائز حادة مرهفة .

وفرغ المستر ساترويت من اداء دوره .

وسرت في الجو همهمة زفرة طويلة جعلت ايفشام يقول مندهشا :
ــ يا الهي . ما هذا ؟

وكان في استطاعة ساترويت ان يقول له انها اليانور بورتال المختبئة في الشرفة العليا . ولكنه آثر الا يفسد ذلك الجو المفعم بالاثارة والتشويق .

وابتسم المستر كوين قائلا :

ــ اعتقد ان السائق قد اصلح الخلل في سيارتي الان . واني اشكر لك حسن ضيافتك لي يا مستر ايفشام ، ولعلي اديت خدمة لصديقي .

وبينما كان الجميع يحدقون النظر اليه في دهشة ، استطرد هو يقول :

ــ ان هذا الجانب من الموضوع لم يخطر ببالكم ، لقد احب تلك السيدة الشابة الحسناء مسز أبلتون . احبها الى حد الاندفاع في ارتكاب جريمة قتل . ولما ادرك ان الامر قد انكشف ، قتل نفسه ، تاركا الحبيبة تواجه الموقف العصيب بمفردها .

فقال ايفشام :

ــ ولكن التهمة لم تثبت عليها .

ــ نعم . وذلك لضعف الادلة . ولعلها حتى الان لا تزال تواجه هذا الموقف العصيب .

وتهالك اليكس بورتال في مقعده ، وطمر وجهه بين يديه .

واستدار المستر كوين الى ساترويت ، وقال :

ــ طاب يومك يا مستر ساترويت ، لا شك انك مهتم بهذه المسرحية الواقعية ، اليس كذلك ؟

واومأ المستر ساترويت براسه ، مندهشا .

وبعد ان حيا كوين الجميع ، استدار ومضى فجأة ، كما اقبل عليهم فجأة .

وصعد المستر ساترويت الى غرفته بالطابق الاعلى ، وفيما هو يسدل الستائر على النافذة ، لمح المستر كوين وهو يمضي في الممر الى سيارته . وفجأة فتح باب جانبي من المنزل ، وخرجت منه امرأة تجري ، فلما لحقت بالمستر كوين ، تبادلت معه كلمات قليلة ، ثم عادت الى المنزل . وفيما هي تقترب من نافذة المستر ساترويت ، فوجىء بالتغيير الهائل الذي طرأ على وجهها ، فبعد ان كان شاحبا جامدا ، اذا به وجه جديد ..

وجه مفعم بالحيوية وحب الحياة ، وجـه امرأة سعيدة كأنهـا في حلـم بهيــج .

ـ اليانور ؟

وانضم اليكس بورتال ، زوجها ، اليها وهو يردف قائلا :

ـ اليانور ؟ اغفري لي ، واصفحي عني . لقد كنـت صادقـة في حديثك معي عن هذه المأسـاة ، ولكنني لم استطع تصديقك .. هل يمكن ان تغفري لي .

ولما كان المستر ساتروويت رجلا مهذبا لا يحب استراق السمع ، رغم اهتمامه بأسرار الناس ، فقد رأى ان يغلق النافذة . ولكنه اغلقها ببطء. وقد استطاع ان يسمع ـ قبل ان يتم اغلاقها ـ اليانور ، وهي تقول :

ـ أنا اعرف .. انا اعرف . لقد كنـت تعيش معي يا اليكس في جحيم . وقد عانيت هذا الشعور بنفسي ذات مرة . فقد احببت ديريك كابل ، ولما شككت في انه قاتل زوجي السابق ابلتون ، عشت في جحيـم من الشك والحب . ولا شك ان هذا شعورك معي وانت تظن انني القاتلة . لقد ظل الحب والشك في نفسك يتصارعان طوال هذه السنين ، وكنـت انا ايضا اعيش معك في جحيم ، لاني كنت ادرك انك رغـم حبـك لي ، تخشاني ، وتخشى ان اقتلك يوما ، كما ظننت اني قتلت زوجي السابق . واخيرا جاء هذا الرجل الغريب ، الذي ظهر واختفى كالشبح ، فوضـع الامور في نصابها ، وانقذنا ، انت وانا ، مما نعانيه ، بل وانقذني انا من الموت . نعم . فقد كنت انوى الليلة ، بعـد ان عيـل صبري ، ان انتحر ! اليكس ، اليكس !

الفصل الثاني

شبح النافذة

قالت الليدي سينثيا للمستر ساترويت وهي تقرأ بصـوت مسموع النبأ التالي في احدى الصحف اليومية :

« يقيم المستر والمسز انكرتون في بيتهما جرينواي هاوس حفلـة في نهاية هذا الاسبوع ، وسيكون من بـين المدعوين : الليدي سينثيا دريج ، والمستر ريتشارد سكوت وزوجته ، والميجور بورتر ، والمسز ستافرتون ، والكابتن الينسون ، والمستر ساترويت » .

ثم اردفت قائلة ، وهي تطرح الصحيفة جانبا :

ــ من الخير ان يعرف الانسان من هم المدعوون الذين سيكون بينهم في حفلة ما .

واومـأ لها المستر ساترويت براسـه موافقـا ، بينـما استطردت هي قائلة :

ــ مثلا ، هل تعرف المستر ريتشارد سكوت ؟!

ــ نعم . نعم . اليس هو صياد الوحوش المشهور ؟

ـ انه هو ، صياد « النمور والسباع » كما تقول الاغنية ، وهو نفسه سبع كبير ، ولا شك ان آل انكرتون مسرورون بقبوله الدعوة ، ثم هنـاك عروسه الحسناء . انها طفلة جذابة فاتنة لا يزيد عمرها عن عشرين عاما ، بينما لا يقل هو عن الخامسة والاربعين من العمر . يا لها من مسكينة !

وكانت الليدي سينثيا نفسها سيدة في نحو الاربعين ، تسرف في وضع مساحيـق الزينة على وجهها الجامد الصارم الذي نظـر اليـه ساترويت ، وهو يقول بدهشة :

ـ مسكينة ؟! لماذا ؟!

فألقت الليدي عليه نظرة عتاب ، ولكنها استطردت تقول :

ـ اما الميجور بورتر ، فلا بأس به . انه احد صيادي الوحوش في افريقيا ،ملوح الوجه ، هادىء ، قليل الكلام ، صديق حميم لريتشارد سكوت ، كما انه معجب به كل الاعجاب . وانا اعتقد انه كان معه في تلـك الرحلة .

ـ اية رحلة ؟

ـ الرحلة في داخـل افريقيـا التي اعدتها المسز ستافرتون . اخشى ان تقول انك لم تسمع ايضا عن المسز ستافرتون ؟

ـ بل سمعت عنها .

فغمزت الليدي بعينيها ، وقالت :

ـ ما كان ينبغي ان يجمع آل انكرتون في حفلتهما بينها وبين ريتشارد سكوت بعد ان تزوج اخيرا . فقد كانت المسز ستافرتون في تلك الرحلة الافريقية ولاكت الألسنة الاقوال عن علاقتها الغرامية بريتشارد . ولكن المهم هو كيف قبلت هذه المرأة دعوة آل انكرتون !

ـ لعلها لم تعرف ان ريتشارد وزوجته سيكونان بين المدعوين !

ـ انها تعرف ذلك تماما . واعتقد انها امرأة خطـيرة لا تتراجـع عن هدف من اهدافها . انني ارثي لريتشارد منذ الان .

ـ وزوجته ؟ هل تعرف شيئا عن علاقة زوجهـا السابقـة بالمسز ستافرتون ؟

ـ لا .. ولكن تأكد ان بعض المدعوين سيتطوعون باخبارها عاجلا او آجلا . اه هذا هو جيمي الينسون . يا له من شاب لطيف ، لقـد كان لطيفا جدا معي اثناء زيارتي لمصر في الشتـاء الماضي . ها جيمي ... تعال هنا .

واطاع الكابتن الينسون وجلس معها في الشرفة . وكان شابا في الثلاثين من عمره ، وسيما ، لطيفا ، يتمتع بأسنان ناصعة البياض . وقد قال في مرح :

ـ يسرني اني وجدت من يريدني ، فان المدعوين جميعا مشغولون في هذه اللعبة او تلك . وقد خشيت ان تهتم مضيفتي ـ المسز أنكرتون ـ بامري ، فتكون الطامة الكبرى .

فضحكت الليدي سينثيا بينما استطرد جيمي قائلا :

ـ واسوا من هذا خشيت ان تقص علي المسز انكرتون قصة شبح الاسرة .

فصاحت الليدي سينثيا قائلة :

ـ شبح اسرة أنكرتون ؟! يا للهول !!

وهنا قال المستر ساترويت بهدوء :

ـ لا ، ليس شبح آل أنكرتون . انه شبح آل جرينواي ، الذين كانوا يملكون هذا المنزل . لقد اشترى انكرتون هذا البيت والشبح معه .

ـ آه . انني اتذكر الان ! ولكنه ليس شبحا يفاجىء المقيمين في البيت بصليل سلاسله ، وانما هو ، على ما اذكر ، شبح نافذة .

وقال الكابتن جيمي الينسون في دهشة :

ـ نافذة ؟!

ولم يجب المستر ساترويت عندئذ ، وانما كان مشغولا بالنظر الى ثلاثة اشخاص متجهين نحو المنزل : فتاة ممشوقة القوام بين رجلين كل منهما طويل القامة ، ملوح البشرة ، سريع النظرات ، وفيما عدا هذا ، فلم يكن ثمة تشابه . ان احدهما الرحالة ريتشارد سكوت ، وكان رجلا قوى المظهر ، عارم الشخصية ، جذابا في سلوكه وتصرفاته . اما الميجور بورتر ، صديقه وزميله في الصيد ، فكان رجلا جامد الوجه ، هادىء السمت ، تنم عيناه الزرقاوان على التفكير والتامل المستمر ، وبينهما كانت تسير ميورا سكوت ، عروس ريتشارد التي تزوجها قبل ذلك بثلاثة اشهر . وكانت فتاة ممشوقة القوام ، ذات عينين واسعتين كستنائيتين ، وشعر ذهبي اللون ، يميل الى الحمرة ، ويدور حول وجهها كأنه هالة من نور .

وقال ساترويت لنفسه : « لا ينبغي ان تصاب مثل هذه الطفلة بأي سوء . ان من العار ان تعاني طفلة كهذه من شرور البشر » .

وحيت الليدي سينثيا القادمين بيدها وبفيض من عبارات الترحيب ، ثم قالت :

ـ اجلسوا ولا تقاطعوا المستر ساترويت ، لسوف يقص علينا قصة شبح .

فقال ريتشارد سكوت :

ـ شبح جرينواي ؟

نعم ، أتعرف قصته ؟

ـ نعم . كنت أتردد من قبل على هذا البيت قبل ان يبيعه آل اليوت، وهم يسمون الشبح « الفارس الرقيب » أليس كذلك ؟!

وهنا تمتمت زوجته بصوتها الناعم قائلة :

ـ الفارس الرقيب ؟! يبدو ان القصة ممتعة حقا ، حدثنا عنها يا مستر ساترويت .

وحاول ساترويت ان يروغ بأن أوضح لهم انها قصة خالية من عامل التشويق ، ولكنهم ألحوا عليه ، فلم يجد مفرا من الحديث قائلا :

ـ اعتقد ان القصة الاصلية تدور حول فارس كان جدا لاسرة آل اليوت . وكان لزوجته عشيق من حزب معارض . وقد فر هذا العشيق هاربا مع الزوجة بعد ان قتل الزوج في احدى غرف الطابق العلوي . ولكن العشيقين ، اثناء فرارهما من البيت ، استدارا اليه ، فرأيا في نافذة الغرفة التى كانت مسرحا للجريمة ، وجه الزوج القتيل يراقبهما. هذه هي الاسطورة كلها . ولكن الذي حدث بعد ذلك ان زجاج نافذة تلك الغرفة كان يبدو من قريب نظيفا لا اثر للبقع فيه ، ولكن الناظر اليه من بعيد يخيل اليه انه يرى وجه فارس رقيب يبدو وراءه .

ورفعت المسز سكوت راسها ونظرت الى واجهة البيت ، وهى تقول :

ـ اية نافذة هذه ؟

ـ انك لا ترينها من هذا المكان ، لانها في الجانب الخلفي من البيت . وقد كسيت جدرانها بالالواح الخشبية منذ اربعين عاما تقريبا . وقد اغلقت هذه الالواح النافذة من الداخل .

ـ ولماذا فعلوا هذا ؟ لقد ظننت انك قلت ان الشبح لا يخرج من الغرفة .

ـ نعم . ولكن الخرافات كثرت حول ذلك الشبح ، فآثر اصحاب

البيت السابقون ان يضعوا حدا لهذه الخرافات .

وعندئذ استطاع بلباقة ان يدير دفة الحديث الى موضوع اخر ، وهو موضوع الرجـم بالغيـب عن طريـق الرمل او ورق اللعـب او القواقـع الجافـة .

وهنا قال ريتشارد ضاحكا :

ــ لقد حاولت ميورا ان تغري غجرية من الراجمات بالغيب ان تنبئها عن المستقبل ، ولكن العرافة اعادت اليها النقود ، ورفضت ان تقول لها شيئـا .

فقالت ميورا :

ــ لعلها رأت في شفحات مستقبلي احداثـا رهيبـة ، فرفضت أن تصدمني بها .

فقال لها الكابتن الينسون باسما :

ــ أوه ! لا تركني الى التشاؤم يا مسز سكوت ، فأنا احـد الذيـن يؤمنون بأن افراح الحياة في انتظارك دائما .

وقال المستر ساترويت لنفسه :

« ارجو هذا .. ولكن .. »

وفجأة نظر امامه بسرعة ، فرأى سيدتين تخرجان مـن البيـت ، احداهما بدينة قصيرة ، سوداء الشعر ، ترتدي ثوبا من الحرير الاخضر ، والثانية طويلة القامة ، ممشوقة القوام ، في ثوب من الحرير الابيض . والسيدة الاولى كانت مسز أنكرتـون المضيفة اما السيدة الثانية فلم يكن ساترويت قد رآها من قبل .

وقالت المسز انكرتون في زهو :

ــ هذه مسز ستافرتون قد وصلت اخيرا . اعتقد ان المدعوين جميعا قد تكامل عددهم .

وركز ساترويت نظراته على المسز ستافرتون ، فرآها طبيعيـة في حركاتها وفي حديثها ، وهي تقول لريتشارد سكوت في غير مبالاة :

ــ هالو ريتشارد ، يخيل الي اني لم ارك منذ أجيال وأجيال واني اقدم اسفي حيث لم اتشرف بالحضور الى حفلة زواجك . أهذه عروسك ؟ لا شك انك يا عزيزتي قد مللـت الجلوس مع اصدقاء زوجـك الصيادين الملوحي الوجوه دائما .

واجابتها ميورا في رقة وخجل بينما كانت مسز ستافرتون تجمعها

بنظرات سريعة ، ثم اذا بها تتحول بسرعة الى الحديث مع الليدي سينثيا بنفس البساطة والخفة . وادرك ساترويت انه امام امراة خطيرة حقا تعرف كيف تخفي مشاعرها تحت ستار من التلطف والنعومة . امراة ذهبية الشعر ، عيناها زرقاوان وصوتها ذو رنين خاص ، كما انها مضيئة الابتسام .

وجلست ايريس ستافرتون لتغدو ، منذ اللحظة الاولى ، موضع اهتمام الجميع ، وهذا ما ادركه ساترويت على الفور .

وتذكر ساترويت فجأة ان الميجور بورتر عرض عليه أن يتمشيا في الغابة المجاورة قليلا ، ومن ثم نهض ، وأومأ له ، وما لبثا ان سارا في الممر المؤدي الى خارج البيت .

وقال الميجور :

ـ ان قصة الشبح التي حدثتنا بها الان عجيبة حقا .

ـ لسوف اطلعك على النافذة التي كان شبح الفارس يبدو وراءها .

ومضى بها الى الجانب الغربي من البيت ، وهناك كانت حديقة صغيرة تابعة للبيت ، تسمى « الحديقة الخاصة » لانها محجوبة عن الخارج بسور مرتفع تعلوه النباتات المتسلقة ، وحتى الممر المؤدي اليها كان حلزونيا متعرجا يحف به السور المرتفع ذو النباتات المتسلقة .

وعندما يدخل الانسان الى هذه « الحديقة الخاصة » يحس انه في عزلة تامة عن العالم ، وانه اصبح في عالم خاص جميل ، كله زهور وشذى وخضرة دائمة .

وعندما بلغا منتصف الحديقة ، اشار ساترويت الى المنزل الذي كان يمتد من الشمال الى الجنوب . اما الجانب الغربي الضيق ، فقد كانت ثمة نافذة في الطابق الاول الذي يعلو الطابق الارضي ، تكاد النباتات المتسلقة تبلغ حافتها . وظهر ان زجاجها مغلف من الداخل بألواح خشبية .

وقال ساترويت مشيرا اليها :

ـ هذه هي النافذة . ان الالواح الخشبية الداخلية تخفيها من داخل الغرفة .

واشراب الميجور بورتر بعنقه ، ثم قال وهو يحملق في زجاج النافذة :

ـ ها ! انني لا ارى اكثر من لون حائل في احد الالواح الزجاجية ..

لا اكثر .

ــ لانك شديــــد القرب من النافــذة .. ولكن هنــاك مرتفعا خاليا من الشجر في الغابــة القريبــة يمكنــك منه ان تلقي نظرة على النافــذة من بعيد .

ومضى مع بورتر الى خارج الحديقة الخاصة ، ثم انعطف يسارا وتقدم في الطريق الى الغابة . وكان يقول وهو في طريقه ، بحماس :

ــ لقد انشئوا نافذة اخرى في الجانب الجنوبي من المنزل ، اي الجانب الذي كنا نجلس فيه منذ لحظات . ويلوح لي أن ريتشارد سكوت وزوجته سينزلان في هذه الغرفة بالذات مما جعلني امتنع عــــن الاستطراد في الحديث عن الشبح . لقد خشيت ان تضطرب اعصاب مسز سكوت حين تعلم انها تنام في غرفة مسكونــة بشبح قتيل .

ــ آه .. فهمت .

ونظر ساترويت اليه بسرعة ، فادرك من سمات الشرود البادية عليه ، انه لم يسمــع منه كلمــة واحدة ، وانما استطرد يقــول كأنما يحــدث نفســـه :

ــ نعم . نعم . ما كان ينبغي ان تحضر الى هذا البيت ابدا .

وكان الناس عادة يتحدثون هكذا مع ساترويــت باعتبــاره شخصية سلبية لا وزن لها في مشكلات الحياة . ولكنه قال متجاوبا في الحديث ، وهو يظنه يتحدث عن مسز ستافرتون ...

ــ هل هذا رايك ؟!

ــ لقد كنت مشتركا في تلك الرحلة . ريتشـــارد وانـــا وايريس ستافرتون ، انها امراة رائعــة ، وصيادة بارعة . فلماذا دعوها الى هذه الحفــلة ؟!

فهز ساترويت كتفيه قائلا :

ــ ربما لجهلهم بالحقيقة .

ــ لسوف يحدث بعض الاضطرابات ، وينبغي ان نكون على حذر ، ومستعدين لبذل كل جهدنا لكي تمر نهاية هذا الاسبوع على خير .

ــ ولكن مسز ستافرتون لا شك ...؟

ــ انني اتحدث عن سكوت . اترى أن مسز سكوت العروس الشابة يجب ان نهتم بأمرها اذا هي عرفت الحقيقة .

وبعد برهة من الصمت ، قال ساترويت :

ـ كيف التقى ريتشارد سكوت بعروسه ؟

ـ في الشتاء الماضي ، في مصر . واشتعل لهيب الحب بينهما سريعا ، وتمت الخطبة في ثلاثة اسابيع ، والزواج في ستة اسابيع .

ـ الواضح انها فتاة جذابة جدا .

ـ انها فعلا جذابة وجميلة ، وهو يقدسها . ولكن هذا لا يعني شيئا.

وفجأة عاد يقول بلهجة كمن يحدث نفسه :

ـ اللعنة على كل شيء .. ما كان ينبغي أن تحضر .

وكانا قد وصلا عندئذ الى المرتفع في الغابة ، فاستدار ساترويت واشار الى النافذة قائلا :

ـ انظر !

ورغم شفق الغروب ، فقد كانت النافذة واضحة ، وكان يبدو ان وجه رجل يطل من وراء زجاجها ، وعلى راسه قلنسوة فارس عليها ريشة طائر ، وقال بورتر :

ـ هذا عجيب .. عجيب جدا . ماذا يحدث مثلا اذا تحطم هذا اللوح الزجاجي ؟

فابتسم ساترويت قائلا :

ـ هذه احدى الجوانب المدهشة في هذه القصة ، ان هذا اللوح الزجاجي استبدل احدى عشرة مرة ، وربما اكثر . وكانت المرة الاخيرة منذ اثني عشر عاما ، ولكن البقع التي يتكون منها شكل وجه الشبح لا تلبث ان تظهر مرة اخرى . وهي لا تظهر دفعة واحدة ، وانما تنتشر انتشارا تدريجيا حتى يتكون شكل الوجه والقلنسوة خلال شهرين عادة .

وللمرة الاولى لاح الاهتمام الشديد على وجه الميجور بورتر ، وسرت في جسمه رعدة خفيفة ، وهو يقول :

ـ هذا عجيب جدا ، وكم من الظواهر في الحياة ليس لها تعليل . ولكن ما جدوى وضع الواح الخشب وراء الزجاج اذن ؟!

ـ انتشرت اشاعة بأن الغرفة منحوسة ، فقد كان ايفشام مقيما بها عندما طلق زوجته . وكان ستانلي وزوجته مقيمين بها عندما نزلا ضيفين على ايفشام ، ولم يلبث ستانلي أن هرب مع فتاة من بنات الليل .

فرفع بورتر حاجبيه في دهشة وقال :

ـ فهمت . ان الخطر في الغرفة ليس على الحياة . وانما على

الاخلاق .

وقال ساترويت لنفسه :

« ويقيم بها الان سكوت وزوجته .. ترى ماذا سيحدث ؟ »

وسارا في طريق العودة الى البيت صامتين ، كل منهما يسير في سكون على العشب الاخضر ، مستغرقا في افكاره . وحينما كانا ينعطفان في الممر المؤدي الى الحديقة الخاصة سمعا صوت ايريس ستافرتون ينساب ، وهي تقول بحدة :

ــ لسوف تندم على هذا .. نعم . سأجعلك تندم على هذا !

واجاب سكوت بصوت خافت مضطرب غير مسموع ، ومرة اخرى ارتفع صوت ايريس ستافرتون عنيفا حادا من قلب الحديقة الخاصة :

ــ الغيرة ؟ انها تدفع بالانسان الى الجحيم .. انها الجحيم نفسه . انها قد تدفع المرء الى ارتكاب جريمة قتل . فكن على حذر يا ريتشارد . نعم . كن على حذر .

وعندئذ خرجت امامهما « من الحديقة الخاصة » ، ثم انحرفت عند منعطف المنزل ، دون ان تراهما ، وسارت بسرعة وخفة وكأنما هي تجري خائفة من شيء .

وفكر ساترويت مرة اخرى في كلمات الليدي سينثيا . حقا ان هذه المراة خطيرة . وشعر لاول مرة بذلك الاحساس الذي يجعله يتوقع حدوث مأساة في وقت قريب .

ولكنه في ذلك المساء خجل من مشاعره المنطوية على الخوف والتشاؤم ، فقد بدا كل شيء طبيعيا لطيفا . فايريس ستافرتون لا يبدو عليها اي توتر عصبي وهي تتحدث بطريقتها البسيطة الرقيقة ، وميورا سكوت بقيت كما هي ، حلوة جذابة ، لا اثر عليها لاضطراب او خوف . بل انها كانت تتحدث في مودة مع ايريس وكأنهما صديقتان . بل ان ريتشارد سكوت نفسه كان يبدو مبتهجا سعيدا .

اما مسز آنكرتون، فكانت هي الوحيدة التي تبدو عليها الهموم والقلق. وقد قالت للمستر ساترويت على انفراد في النهاية :

ــ لعلك ستتهمني بالحماقة والسخف ، ولكني اشعر بخوف شديد رغما مني ، وقد ارسلت الى صانع الزجاج دون ان اخبر زوجي بالامر .

ــ صانع الزجاج ؟

ــ نعم . ليضع لوحا جديدا من الزجاج في تلك النافذة . ان زوجي

نيد فخور بقضية الشيخ الذي يسكن منزله ، ولكني لا اشاركه هذا الفخر، ولهذا فقد ارسلت لاستدعاء صانع الزجاج ليضع لوحا جديدا نظيفا من الزجاج .

ـ ولكنك نسيت ، او لعلك لا تعملين ان شكل وجه الشبح يرتسم على اللوح بعد شهر او شهرين .

ـ انني انحدى هذا الوجه ، ولسوف اضع لوحا جديدا من الزجاج كل شهر او كل اسبوع اذا لزم الامر . ان ثمن هذه الالواح لن يؤدي الى افلاسنا على كل حال .

وقال ساترويت لنفسه : « والان على شبح هذا الفارس ان يجد طريقة جديدة ليستطيع التغلب بها على قوة المال » .

وشاء القدر في تلك الليلة ان يسمع ساترويت حديثا اخر . فبينما كان صاعدا الى غرفته ، رأى الميجور بورتر والمسز ستافرتون جالسين في ركن من البهو الكبير ، بالقرب من السلم ، يتبادلان الحديث ، وكانت هي تقول بصوتها الذهبي :

ـ لم اكن اعرف ان سكوت وعروسه من بين المدعوين . ولو كنت اعرف لما حضرت . ولكني اؤكد لك يا عزيزي انني لن اهرب من هذا الموقف ما دمت قد حضرت ..

ومضى ساترويت في طريقه بعيدا عن مرمى السمع ، وهو يقول لنفسه :

« ترى اهي صادقة في حديثها ؟ أحقا لم تكن تعرف ان ريتشارد سكوت لم يكن بين المدعوين » .

وفي الصباح ، وفي ضوئه الصافي ، احس انه بالغ في مخاوفه وأوهامه في الليلة السابقة . ولا شك ان كل ما خامره كان ناتجا من توتر أعصابه ؛ او لعل خمول الكبد عاده مرة اخرى . نعم .. انه الكبد . ان عليه ان يمضي للاستشفار في كارلسباد في اول فرصة .

وعند الغروب اقترح على الميجور بورتر ان يتمشيا مرة اخرى في الغابة ، وان يمضيا الى المرتفع ليريا هل كانت المسز انكرتون صادقة في قولها انها ستغير اللوح الزجاجي في النافذة بآخر جديد ! ولكنه في الواقع كان يريد ان يستمتع برياضة المشي .

وسار الرجلان ببطء في الغابة ، وكان الميجور بورتر كالمعتاد متحفظا ، قليل الكلام . اما ساترويت ، فقد قال على سبيل المحادثة :

ـ لا يسعني الا ان اشعر بأننا كنا واهمين حين توقعنا حدوث شيء خطير امس . فالمعروف ان الناس عادة يكتمون مشاعرهم الخاصة في مثل هذه الظروف ، ويحاولون ان يحسنوا السلوك مع الداعين والمدعوين .

فقال بورتر :

ـ لعلك تعني الناس المتحضرين ..

ـ ماذا تقصد ؟

ـ اقصد الناس الذين عاشوا فترات طويلة خارج العالم المتحضر ، يرتدون احيانا الى العالم الهمجي الذي تعودوا عليه .

وبلغا قمة المرتفع في الغابة ، وهناك رأيا وراء زجاج النافذة وجه الشبح ، وكان في هذه المرة اقرب ما يكون الى وجه انسان حي .

وقال ساترويت :

ـ يبدو ان المسز انكرتون لم تجرؤ على تغيير اللوح الزجاجي .

ـ لا شك ان زوجها عارضها بشدة في هذا الشأن . انه من الاشخاص الذين يفخرون بأشباح الاسر الاخرى . ولعله لم يشتر هذا المنزل الا لانه مشهور بأن « الفارس الرقيب » يقيم فيه .

ثم اردف وهو ينظر الى العشب المحيط به :

ـ الم يخطر ببالك يوما ان المدنية خطرة جدا ؟

فقال ساترويت في دهشة :

ـ خطرة جدا !

ـ نعم . لانها خالية من صمامات الامان النفسي .

وفي طريق العودة قال ساترويت للعجوز بورتر :

ـ انني لا افهم تماما ماذا تعني يا ميجور !

فضحك بورتر وقال :

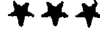
ـ اتظن انني اخرف بما لا اعرف يا مستر ساترويت ؟ حسنا . ان هناك اناسا يشعرون بقرب هبوب العواصف ، وهناك كما تعرف ، أناس يحسون بقرب وقوع امور خطيرة . وانا اشعر ان امورا خطيرة ستقع الان ، نعم يا مستر ساترويت ... أمورا خطيرة جدا .. ربما تحدث في اية لحظة .. حالا ..

وامسك عن الكلام فجأة ، ووضع يده على ذراع المستر ساترويت وفي اللحظات القليلة التالية ، فوجىء كل منهما بسماع طلقتين ناريتين ، اعقبتهما صيحة امرأة .

وهتف بورتر قائلا :
ـ يا الهي . هلم نسرع .
وانطلق يعدو في الطريق الى البيت ، والمستر ساترويت وراءه يلهث. وفي لحظات كانا قد وصلا الى الممر المؤدي الى الحديقة الخاصة ، وفي الوقت نفسه كان ريتشارد سكوت والمستر انكرتون يقبلان من الجانب الاخر من المنزل نحو الحديقة ، وتوقف الرجال الاربعة امام بعضهم البعض ، على الجانب الايسر والايمن للحديقة الخاصة .
وقال انكرتون ، وهو يشير باصبعه الى تلك الحديقة :
ـ لقد صدر الصوت من .. منها .
وقال بورتر وهو يتقدمهم في المنعطف المؤدي الى الحديقة :
ـ هلم نرى .
ولما بلغ مع اصحابه اخر منحنى في الممر المؤدي اليها ؛ توقف متسمرا في مكانه ، واختلس ساترويت النظر من وراء كتفه ، بينما ارسل سكوت صيحة عالية .
كان ثمة ثلاثة اشخاص في قلب الحديقة الخاصة اثنان ، شاب وشابة ملقيان بجوار المقعد الحجري ، والثالثة ، المسز ستافرتون واقفة بجانب السياج تنظر بعينين ملؤهما الفزع الى شيء في يدها اليمنى .
وصاح الميجور بورتر :
ـ ابريس ! ايريس ، ما هذا الذي في يدك بحق السماء ؟
فنظرت اليهم في دهشة وذهول ثم قالت في شيء من عدم الاهتمام :
ـ مسدس .
ثم اردفت قائلة بعد لحظة كأنها بهرت :
ـ تناولته من ارضية الحديقة .
وتقدم المستر ساترويت الى حيث كان انكرتون وسكوت راكعين بجانب الجسدين ، وكان سكوت يهتف قائلا :
ـ اسرعوا باستدعاء طبيب . يجب استدعاؤه حالا .
ولكن يد الموت كانت اسبق من الطبيب . وهكذا ظل جسد الكابتن جيمس الينسون مسجى على العشب بجوار جسد ميورا سكوت .. بلا حركة او حياة .
وكان ريتشارد سكوت هو الذى تولى فحص الجسدين وتأكد من موتهما ، وقد بدا بوضوح انه حقا يتمتع باعصاب حديدية ، وانه ، بعد

صيحة الالم والدهشة الاولى ، استرد زمام اعصابه بسرعة .
قال ، وهو يعيد وضع جسد زوجته على العشب برفق :
ـ اصابتها الرصاصة من الخلف . لقد نفذت من ظهرها الى صدرها.
ولما فحص جيمي الينسون وجد ان الجرح في صدره ، وان الرصاصة اصابته من امام واستقرت في جسمه .
وقال بورتر بحزم وهو يقترب منه :
ـ لا ينبغي ان يلمس احد شيئا . فالواجب ان يجد البوليس كل شيء كما حدث .
وبرقت عينا ريتشارد سكوت بنيران الغضب ، وهو ينظر الى المسز ستافرتون ويقول « البوليس » ثم تقدم نحوها ، ولكن بورتر اعترض سبيله ، وراح يتبادل معه النظرات الحادة برهة ، ثم قال وهو يهز راسه :
ـ لا يا ريتشارد . ان المظاهر تدل على انها هي ـ ولكنك مخطىء في ظنونك .
ـ اذن لماذا ؟ كان المسدس في يدها ؟
وهنا قالت اريس في لهجة الدفاع عن نفسها :
ـ لقد تناولته من ارضية الحديقة .
وقال أنكرتون :
ـ البوليس . يجب استدعاء البوليس فورا . ويجب ان يبقى احد هنا .
وتطوع ساترويت بأن يبقى في مكان الحادث حتى يأتي رجال البوليس . وقبل المضيف هذا العرض ، ثم قال :
ـ يجب ابلاغ الامر للسيدات . نعم . الليدي سينثيا ، ولزوجتي العزيزة .
وبقى ساترويت في الحديقة الخاصة ينظر الى الجثتين ، ويقول لنفسه في اسف : « مسكينة ابتها الطفلة . لقد ذهبت في عمر الزهور » .
وفيما هو يتأمل وجهها الصغير ، ونصف الابتسامة التي لا تزال باقية على ثغرها ، وشعرها الذهبي المشعث ، واذنها الدقيقة الرقيقة ، لاحظ وجود بقعة من الدم على شحمة الاذن . واحس في أعماق نفسه بالرغبة في الاستنتاج والاستدلال ، كما يفعل رجال المباحث ، ومن ثم استنتج ان هذه البقعة ناشئة من قرط كان في تلك الاذن . نعم . هذا صحيح ، لانه راى في الاذن الاخرى قرطا صغيرا عبارة عن حبة لؤلؤ في

مشبك ذهبي .



وقال مفتش البوليس ونكفيلد بعد ان سال الجميع ، ثم جلس معهم في البهو الكبير :

ـ والان يا ميجور بورتر ، افهم انك كنت عائدا من الغابة مع المستر ساترويت عندما سمعتما طلقتين ناريتين ثم صيحة امراة ، فاندفعتما تجريان في الممر الملتوي المؤدي الى الحديقة الخاصة من الناحية اليسرى . اليس كذلك ؟

ـ تماما .

ـ ومعنى هذا انه لو كان احد اراد الهرب من الحديقة الخاصة لالتقى بك وبالمستر ساترويت ، او بالمستر انكرتون والمستر سكوت اللذين كانا مسرعين من الجهة اليمنى . لانه لا يوجد منفذ آخر للحديقة الخاصة .

ـ نعم يا سيدي المفتش . هذا صحيح .

ـ حسنا جدا . وفي الوقت الذي كنتما فيه في الغابة ، كانت المسز انكرتون وزوجها ، والليدي سينثيا جالسين في الممر الرئيسي المؤدي الى البيت ، وكان المستر سكوت جالسا في غرفة البلياردو المؤدية الى ذلك الممر ، وفي الساعة السادسة وعشر دقائق ، خرجت المسز ستافرتون من المنزل وتبادلت حديثا قصيرا مع الجالسين في الممر ، ثم انعطفت عند ركن المنزل في طريقها الى الحديقة الخاصة . وبعد دقيقتين دوت الطلقتان الناريتان ، فاندفع المستر سكوت والمستر انكرتون في طريقهما الى الحديقة الخاصة من الناحية اليمنى للمنزل ، وفي نفس الوقت كنت انت يا ميجور بورتر مع المستر ساترويت تندفعان اليها من الجهة الاخرى ، اليسرى . وهنا رأيتم جميعا المسز ستافرتون واقفة والمسدس الذي انطلقت منه الرصاصتان في يدها اليمنى . وكما افهم ما حدث ، اقول انها اطلقت اولا رصاصة على المسز سكوت في ظهرها وهي جالسة على المقعد الحجري ، فلما وثب الكابتن الينسون مندفعا اليها ، اطلقت الرصاصة الثانية في صدره ، وقد فهمت انه كان ثمة علاقة عاطفية سابقة بينها وبين المستر سكوت .

فقال بورتر بصوت أجش كله التحدي :

ـ هذه اكذوبة لعينة .

وهز المفتش كتفيه ، بينما قال المستر ساترويت :

ـ وما هي أقوال المسز ستافرتون ؟

ـ قالت انها ذهبت الى « الحديقة الخاصة » لتنفرد بنفسها برهة ، وفيما هي تمر عند اخر منعطف في مدخـــل الحديقة سمعت الطلقتـــين الناريتين ، فأسرعـــت الى مكان الصـــوت ورات المسدس على الارض ، فتناولته ، ولم تر في الوقت نفسه احدا داخل الحديقة او خارجا منها ، وانما رات فقط المصابين ملقيين بجوار المقعد الحجري . هذه هي اقوالها التي أصرت على الادلاء بها رغم اني حذرتها من الادلاء باي شيء الا في حضور محام لها .

وهنا قال الميجور بورتر في حزم واصرار :

ـ اذا كانت هذه اقوالها ، فهي صادقـــة . فانـــا اعرف ايريس ستافرتون .

ـ حسنا يا سيدي . ان الوقت متسع لاثبات براءتها فيما بعد . اما الان ، فان علي واجبا ينبغي ان اؤديه .

وبحركة سريعة ، التفت الميجور بورتـــر الى المستر ساترويـــت ، وقال له :

ـ انت ؟ الا تستطيع ان تساعدها ؟ الا يمكنك ان تقوم بشيء لاثبـــات براءتها ؟

واحس ساترويت بالزهو يملأ نفسه ، ولا غرو ، فهـــذا هو رجل معروف في الوسط الاجتماعي ، يلجأ اليه ، ويلتمس منه المساعدة .

وقبل ان يقول شيئا ، اقبل رئيس الخدم تومبسون يحمـــل على صحفة من فضة بطاقة قدمها الى سيده المستر انكرتون الذي كان متهالكا في مقعده ، ثم قال :

ـ حاولت ان اعتذر للسيد بانك مشغول الان ، ولكنه اصر على مقابلتك قائلا ان بينك وبينه موعدا .

ونظر انكرتون الى البطاقة ثم قال :

ـ المستر هارلي كوين ! آه . نعم . لقد حددت موعدا لمقابلتـــه بشأن احدى اللوحات المصورة ، ولكن الظروف الان ...

وهنا هتف المستر ساترويت قائلا :

ـ اتقول هارلي كوين ؟ ما اعجب هذا ! لقد طلبت المساعدة مني يا ميجور بورتر ، واعتقد ان في مقدوري تحقيق طلبك . ان المستر كوين صديق لي ، وهو شخصية ممتازة في مثل هذه الظروف .

وقال المفتش في لهجة لا تخلو من تهكم :
ـ اظن انه احد هواة كشف الغموض عن الجرائم المعقدة ؟
ـ لا .. ليس احد الهواة ، وانما رجل له قدرة عجيبة على ان يجعلكم ترون بأعينكم ما كان يجب ان تروه ، وان تسمعوا بآذانكم ما كان ينبغي أن تسمعوه . ولن يضيرنا شيء اذا نحن عرضنا عليه الخطوط الرئيسية للمأساة ثم نعرف ماذا سيقول لنا .
ونظر المستر انكرتون الى المفتش الذي رفع عينيه الى السقف ساخرا ، ثم أومأ براسه الى رئيس الخدم تومبسون ، فغادر هذا البهو ، ثم عاد ومعه المستر كوين بقامته الطويلة وجسمه النحيل .
وقال المستر كوين بعد ان صافح المستر انكرتون ، وحيا براسه الجميع :
ـ انني آسف لحضوري في هذا الوقت يا مستر انكرتون . واظن انه ينبغي أن نهمل الان حديثنا البسيط عن اللوحة الزيتية . آه . هذا هو صديقي المستر ساترويت ؛ اعتقد انك لا زلت مشغوفا بما يجري على مسرح الحياة كعادتك .
وقال ساترويت ، وهو ينظر الى المستر كوين الذي كان يبتسم :
ـ مستر كوين . اننا الان في خضم احدى مسرحيات الحياة . وانني وصديقي الميجور بورتر نريد ان نعرف رايك في احداثها .
وبعد ان ذكر له تفاصيل ما حدث ، هز المستر كوين راسه ، وقال :
ـ هذه مأساة مؤلمة ! واعتقد ان انتفاء الباعث على القتل يجعلها شديدة الغموض .
فحملق المستر انكرتون في وجهه قائلا :
ـ انك لا تدرك حقيقة الموقف . فقد سمعت المسز ستافرتون وهي تهدد المستر سكوت . كانت شديدة الغيرة من زوجته .. والغيرة ..
ـ انني اتفق معك . ان الغيرة عاطفة مدمرة ، ولكنك اخطأت فهم كلماتي ، انني كنت اعرب عن اسفي الشديد لمقتل الكابتن جيمس الينسون .
وهنا هتف الميجور بورتر قائلا :
ـ انك على حق . ان مقتل الكابتن يثير الشك في المأساة كلها . فاذا كانت مسز ستافرتون تنوي قتل المسز سكوت ، لاستدرجتها بمفردها الى مكان آخر . نعم . اننا نسير في الطريق الخطأ . وانا اعتقد ان هناك

وجها اخر للموضوع . وانا أعترف ان هؤلاء الاشخاص الثلاثة ذهبوا الى الحديقة الخاصة قبل وقوع الحادث : جيمي الينسون ، ومسز سكوت ، ثم مسز ستافرتون . ورأيي هو ان جيمي الينسون اطلق النار على المسز سكوت ، ثم على نفسه ، ثم وقع المسدس من يده حيث تناولته المسز ستافرتون عند دخولها عقب الحادث مباشرة .

فهز المفتش راسه ، وقال :

ـ هذا التعليل غير معقول . فلو ان الكابتن الينسون قتل نفسه ، لظهرت آثار البارود على ملابسه .

ـ لعله اطلق النار على نفسه من مسافة ذراع .

ـ ولماذا يفعل هذا ؟ لا معنى لذلك . وعدا هذا فما هو السبب ؟

ـ ربما فقد صوابه فجأة .

وصمت بورتر وهو يشعر ان حجته ازدادت ضعفا عند هذا الحد . ولكنه لم يلبث ان قال للمستر كوين في تحد :

ـ ما رايك انت يا مستر كوين ؟!

ـ انني لست ساحرا ، بل ولست باحثا جنائيا . ولكن يمكنني أن اقول انني أؤمن جدا بقيمة الانطباعات النفسية . ففي اللحظات العصيبة، تنقش في الذهن لحظة معينة ، او صورة معينة بعد أن تتلاشى جميع الصور الاخرى . ويبدو لي أن المستر ساترويت هو المراقب الوحيد ، المحايد في هذه المأساة . فهل يمكن ان تعود بذاكرتك يا مستر ساترويت وتخبرنا عن اشد هذه اللحظات اثارة لنفسك ؟ هل كانت اللحظة التي سمعت فيها الطلقات النارية ، أم التي وقفت فيها تنظر الى الجسدين الهامدين ، أم التي رايت فيها المسز ستافرتون واقفة والمسدس في يدها ؟!

وركز ساترويت عينيه في وجه المستر كوين كأنه تلميذ امام استاذ ، ثم قال ببطء :

ـ لا . ان اللحظة التي انطبعت في نفسي هي عندما وقفت انظر الى المسز سكوت بوجهها الصغير ، وشعرها الذهبي المشعث ، و .. وبقعة الدم على شحمة اذنها .

وما كاد يقول هذا حتى ادرك انه القى بما يشبه القنبلة ، واذا بالمستر انكرتون يتمتم ببطء :

ـ دماء على اذنها ؟ نعم .. نعم .. انني اتذكر هذا .

ـ واعتقد ان قرطها لا بد انه انتزع من اذنها عندما سقطـــت على الارض .

وقال بورتر :

ـ كانت راقدة على جنبها الايسر . فلا شك ان الدم كان على اذنها اليسرى ؟

ـ لا . بل كان على شحمة اذنها اليمنى .

وتنحنح المفتش ، وقال وهو يمد يده بشيء بسيط :

ـ لقد عثرت على هذا في العشب . انه المشبك الذهبي للقرط .

فصاح بورتر قائلا :

ـ يا الهي ! لا يمكن ان يتحطم القرط هكذا بمجرد سقوطها عـلى الارض . الواضـح انه انتزع من شحمة اذنها عنوة .

وهتف ساترويت قائلا :

ـ نعم . نعم . لا شك في هذا . ولا شك انها رصاصة تلـك التي حطمت القرط وجرحت الاذن .

وهنا قال المفتش :

ـ لم تنطلق غير رصاصتين فقط . ولا يعقل ان تجرح رصاصـة اذنها ثم ترتد لتنفذ من ظهرها . فاذا افترضنا ان احدى الرصاصتين جرحت الاذن وحطمت القرط فانها لا يمكن ان تقتل الكابتن الينسون في الوقت نفسه ما لم يكن واقفا امامها مباشرة وجد قريب منها . لا لا . هذا لا يمكن الا اذا كانت ...

وصمت المفتش فجاة ، فاكمل له المستر كوين العبارة بقوله :

ـ الا اذا كانت بين ذراعيه ! حسنا ! لماذا لا ؟!

وتبادل الجميع نظرات الدهشة . ذلك ان هذا الاحتمال لم يكن يخطر ببال احدهم . وقد قال المستر أنكرتون :

ـ ولكن الكابتن الينسون لا يكاد يعرف المسز سكوت .

وقال المستر ساترويت لنفسه :

ـ من يدري ؟ لعلهما كانا يعرفان بعضهما البعض دون ان نعلم فقـد قالت الليدي سينثيا ان الكابتن الينسون كان لطيفا معها اثناء زيارتهـا لمصر في الشتاء الماضي .

والتفت ساترويت الى بورتر ، وقال له :

ـ اخبرني ان المستر سكوت تعرف بزوجته في مصر ، في القاهرة ،

في الشتاء الماضي ! فلعل الينسون تعرف عليها ايضا في ذلك الحين .

فقال انكرتون :

ـ ولكن كان يبدو عليهما هنا انهما لا يعرفان بعضهما البعض !

ـ لعلهما كانا يتظاهران بهذا لغرض معين .

وقال المستر كوين للمستر انكرتون :

ـ أترى ماذا أوضح لنا المستر ساترويت بملاحظته الدقيقة ؟ والان جاء دورك يا مستر انكرتون .

ـ ماذا تعني ؟!

ـ اعني اني لاحظت انك كنت مستغرقا في افكارك عندما دخلت هذا البهو ، ولا بأس ان تخبرنا فيم كنت تفكر حتى لو لم يكن له علاقة بالمأساة .

فتردد انكرتون برهة ثم قال :

ـ الواقع اني كنت أفكر في موضوع خرافي لا علاقة له بالمأساة . لقد اخبرتني زوجتي انها وضعت لوحا زجاجيا جديدا في نافذة الشبح ، واني لأشعر ان تغيير لوح الزجاج هو الذي جلب هذا النحس !

ولم يدر انكرتون لماذا حملق في وجهه كل من الميجور بورتر والمستر ساترويت الذي قال :

ـ أتقول ان زوجتك وضعت لوح زجاج جديد في نافذة الشبح ، فعلا ؟

ـ نعم . في صباح هذا اليوم .

وهتف الميجور بورتر قائلا :

ـ يا الهي ! لقد بدأت افهم الان ! ان هذه الغرفة مكسوة الجدران بألواح الخشب ، وليس بالورق الملون .

ـ نعم . ولكن ما علاقة هذا بالموضوع ؟!

ولكن بورتر اندفع خارجا من البهو والجميع يتبعونه ، ثم صعد فورا الى غرفة الشبح ، التي كان يقيم فيها سكوت وزوجته . وكانت غرفة جميلة جدرانها مكسوة بألواح مصقولة في لون الكريم ، وتحسس بورتر الالواح بيده وهو يقول انه واثق من وجود مفتاح لباب سري ، وفجأة سمع الجميع طقطقة خفيفة واذا جزء من الالواح يتحرك ويكشف عن الالواح الحائلة اللون في نافذة الشبح ، وكان بينها لوح جديد نظيف . وانحنى بورتر فجأة ثم التقط من على الارضية ريشة نعام ثم نظر الى

المستر كوين ، ويادله هذا النظر ، وهو يومىء اليه براسه .

وعبر بورتر الغرفة الى خزانة الملابس حيث وجد فيها عددا من قبعات المسز سكوت ، وتناول منها قبعة عريضة الحافة ، مزينة بالريش من طراز سكوت .

وبدا المستر كوين يتحدث بهدوء :

ـ لنفرض ان هناك رجلا شديد الغيرة بطبعه . رجلا سبق ان اقام في هذا البيت اياما او اسابيع ، وعرف سر هذا الباب السري الذي يخفي نافذة الشبح من دخل الغرفة . ولنفرض انه أراد أن يتسلى ، ففتح هذا الباب ونظر من وراء زجاج نافذة الشبح الى الحديقة الخاصة ، فرأى زوجته بين ذراعي شاب من الضيوف وجن جنونه من فرط الغيرة ، ولكن ماذا يفعل ؟ لقد ومضت بباله فكرة . انه يذهب الى خزانة الملابس ، وياخذ منها قبعة ذات حافة عريضة مزينة بالريش وكان شفق المساء يتجمع في تلك اللحظة ، وقد تذكر الاسطورة التي تدور حول شبح النافذة ، ومن ثم اطمأن الى ان اي شخص يراه من الخارج ، سيحسبه شبح « الفارس الرقيب » وهكذا راح يراقب الزوجة والشاب ، حتى اذا رآهما متعانقين اطلق مسدسه عليهما ، وقتلهما برصاصة واحدة نفذت من الزوجة واستقرت في صدر الشاب . لكنه اطلق رصاصة اخرى اطاحت بقرط الزوجة . والمعروف انه بارع في اطلاق النار واصابة الهدف لانه صياد مشهور . ثم القى بالمسدس من النافذة الى الحديقة الخاصة ، واندفع عائدا الى قاعة البلياردو ، ومنها الى الحديقة مع المستر انكرتون .

وهنا قال بورتر في دهشة :

ـ ولكنه تركها .. ترك المسز ستافرتون معرضة للاتهام . لقد وقف ساكنا وتركها تتحمل تهمة ارتكاب جريمة هي بريئة منها . فلماذا ... لماذا ؟!

فقال المستر كوين :

ـ اعتقد انني أعرف لماذا ؟ اعرف بالاستدلال والاستنتاج . فليس لي مفر من هذا . اعتقد ان ريتشارد سكوت كان يحب ايريس ستافرتون الى حد الجنون . وقد بلغ من قوة حبه لها ان عواطفه ثارت مشتعلة حين رآها بعد فراق سنوات . لقد اشتعلت عواطفه بالغيرة المجنونة هذه المرة . ذلك ان ايريس ظنت يوما انها احبته ولكنها بعد ان عادت من رحلتها في قلب افريقيا ايقنت انها احبت رجلا آخر .. الرجل الافضل والاكثر

اتزانـــا .
فقال بورتر في ذهول :
ـ الرجل الافضل ؟ هل تعني ؟..
فابتسم كوين وقال :
ـ اعنيك انت .
ثم صمت برهة قبل ان يردف قائلا :
ـ لو كنت في موضعك ، لذهبت اليها الان ، واخذتها بين ذراعي .
فقال بورتر في حزم :
ـ سوف اذهب حالا .
ثم استدار وانطلق مسرعا .. الى ايريس .

الفصل الثالث

علامة في السماء

اخذ القاضي يلخص القضية للمحلفين بعد الانتهاء من نظرها بقوله :

« والان ايها السادة اوشكت ان افرغ مما اريد ان اقوله لكم . فأمامكم الادلة التي يمكنكم بها ان تعرفوا ما اذا كان هذا المتهم هو القاتل الحقيقي لفيفيان بارنابي . لقد عرفتم من اقوال الخدم الوقت الذي اطلقت فيه الرصاصة . وقد اجمعوا الراي على هذا الوقت . وعرفتم أمر الخطاب الذي ارسلته فيفيان بارنابي الى المتهم في صباح اليوم الذي قتلت فيه . وهو يوم الجمعة الثالث عشر من شهر سبتمبر وقد اعترف المتهم بهذا الخطاب . وعرفتم كيف انكر المتهم ذهابه الى منزل المجني عليها في ذلك اليوم ، في ديرنج هيل ، ولكنه لم يلبث ان اضطر للاعتراف بهذه الزيارة امام الادلة التي قدمها البوليس . ولا تقوم هذه القضية على أدلة مادية ملموسة ، ومن ثم عليكم ان تصدروا حكمكم على اساس الدافع على القتل ، والوسائل ، والفرصة التي اغرت بارتكاب الجريمة وقد اقام محامي المتهم دفاعه على اساس ان شخصا غريبا دخل غرفة الموسيقى بعد

خروج المتهم منها ، واطلق الرصاص على فيفيان بارنابي من نفس البندقية التي قال المتهم انه – للمصادفة – نسيها وراءه . وقد سمعتم السبب الذي جعل المتهم يستغرق نصف ساعة في العودة الى بيته ! فاذا ابيتم ان تصدقوا اقواله ، واقتنعتم اقتناعا لا يقبل ادنى شك بأن المتهم اطلق – عن عمد وسبق اصرار – بندقيته من مسافة قصيرة على رأس فيفيان بارنابي قاصدا قتلها ، وذلك في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر سبتمبر ، فان عليكم ، ايها السادة ، ان تصدروا حكمكم بالادانة . اما اذا خامرتكم شكوك لها ما يبررها ، فان واجبكم يقتضي اطلاق سراح المتهم . وأنا الان أطلب منكم ان تجتمعوا في غرفتكم ، وان تتفقوا على الحكم ، وان تخبروني به » .

وغاب المحلفون في غرفتهم نصف ساعة ، ثم عادوا واصدروا الحكم الذي كان كل من في القاعة يتنبأ به : وهو « ادانة المتهم » .

وانصرف المستر ساترويت من المحكمة على مضض وهو يفكر في هذا الحكم بوجه مقطب . لو انها كانت مجرد قضية جريمة قتل من النوع الذي لا يثير اهتمامه عادة ، لما فكر في الذهاب الى المحكمة ، ولكن هذه القضية التي سميت قضية «وايلد» ، كانت تختلف عن مثيلاتها . فالمعروف ان الشاب مارتن وايلد من النوع الذي يمكن ان يقال عنه « مهذب » او جنتلمان . وكانت الضحية او المجني عليها شابة حسناء ، زوجة السير جورج بارنابي ، وهي معروفة في الوسط الراقي .

كان يفكر في هذا كله وهو يتجه نحو شارع هولبورن ، ومنه الى شبكة من الشوارع المؤدية الى حي سوهو . وفي احد شوارع هذا الحي ، دخل مطعما صغيرا لا يتردد عليه الا الطبقة الثرية بسبب ارتفاع اسعار مأكولاته . وكان جو المطعم من الداخل هادئا ساكنا ، والضوء خافتا ، كأنه محراب في معبد . اما اسم هذا المطعم فهو آرليكشينو .

ومضى ساترويت ، وهو لا يزال يفكر ، في طريقه داخل المطعم الى المائدة التي تعود الجلوس عليها في احد الاركان ، ولكنه فوجىء بوجود شخص آخر جالس اليها ، فأراد ان يتراجع ، ولكن هذا الشخص استدار اليه فجأة ، واذا بساترويت يقول :

– ليحفظني الله ! انه المستر كوين !!

وازداد انفعال المستر ساترويت وهو يرى امامه هذه الشخصية الخفية العجيبة التي تنقله ، عند الاحداث الهامة ، من دور المتفرج على

مسرح الحياة ، الى دور الممثل فوق هذا المسرح نفسه .

وجلس مبتهجا الى نفس المائدة ، وبعد ان احضر الخدم طلباتهما ، قال :

ــ لقد جئت فورا من محكمة اولد بيلي . انها قضية مؤلمة .

ــ لقد قرر المحلفون ادانته !!

ــ نعم . بعد نصف ساعة من تبادل الراي .

ــ بناء على الادلة المقدمة اليهم ! اليس كذلك ؟

ــ ومع ذلك . . . !

ولما تردد ساترويت برهة في اتمام كلامه اكمله المستر كوين قائلا :

ــ ومع ذلك فانت في جانب المتهم ؟ اليس هذا ما اردت ان تقول ؟

ــ اعتقد هذا . فان مارتن وايلد شاب لطيف وسيم لا يكاد يخطر ببال احد انه يرتكب جريمة كهذه . ومع ذلك فكم من شبان ظرفاء ارتكبوا من الجرائم ما يملأ القلوب بالفزع .

ــ والراي الشائع عنه انه اراد ان يتخلص من عشيقته لكي يتزوج خطيبته !

ــ نعم . ولكن الادلة . .

ــ اوه . انني لم احضر المحاكمة يا مستر ساترويت . كما انني لا اعرف الكثير عن الحياة الخاصة للمجني عليها ولزوجها وللمتهم . ولكنني اعرف انك يا مستر ساترويت تعرف الشيء الكثير عن هذه الحياة . هلا اخبرتني بما تعرف ؟

ومرة اخرى احس ساترويت بالزهو وهو يجد نفسه يؤدي دورا رئيسيا في احدى مسرحيات الحياة . ومن ثم راح يسرد معلوماته عن فيفيان بارنابي ، زوجة السير جورج بارنابي الشابة الحسناء وعن علاقتها السابقة بالشاب مارتن وايلد ، وعن خطيبته سيلفيا ديل المقيمة في قرية قريبة تسمى ديرنج فيل . وقد بدأ حديثه عن الحياة في قصر ديرنج هبل الذي يمتلكه السير جورج بارنابي ، فقال ان هذا الرجل ، صاحب القصر ، كان رجلا في خريف العمر ، بخيلا ، موفور الثراء ، شديد الفخر بثروته ، كثير الاهتمام بالتفاهات ، فهو مثلا قد تعود دائما ان يدفع أجور الخدم في صباح يوم الثلاثاء من كل اسبوع ، ويملأ ساعات القصر بنفسه ويضبطها بعد ظهر يوم الجمعة من كل اسبوع ، ولا ينسى ان يغلق باب القصر الخارجي بنفسه كل ليلة . انه رجل حريص دقيق ، كثير الاهتمام

بالصغائر .

وانتقل ساترويت من الحديث عن السير جورج بارنابي الى الحديث عن زوجته الليدي بارنابي ، وهنا كان حديثه اكثر رقة . قال انـه رآهـا مرة واحدة ، ولكنه شعر في هذه المرة انها ، على جمالها الفاتن ، كانـت حزينة السمات ، غاضبة النفس ، ساخطة على حظها في الحياة .

ـ هل كانت تكره زوجها ؟

ـ نعم . اشد الكراهية . تزوجته قبل أن تعرف شيئا عن مبلغ بخله وتقتيره وحقارة نفسه . وقد ندمت بعد ذلك ، ولكنها لم تدر ماذا تفعل ، فقد كانت فقيرة ، لا تملك شيئا الا ما تظفر به من زوجها ، وكان هـو حريصا جدا في منحها ما تريد من مال . وكانـت هي شديدة الطمـع ، مشغوفة بترف الحياة .

واستطرد ساترويت يقول :

ـ ولم أر مارتن وايلد قبل المحاكمة . ولكنني سمعت عنه ، كـان يمتلك مزرعة صغيرة لا تبعد عن قصر ديرنج هيل غير ميل واحد . والتقت به ذات يوم ، أعني الليدي بارنابي ، ورأت فيه وسيلة للخلاص من زوجها ، فتعلقت به بعنف كما يتعلق الغريق بطوق النجاة . حسنا . لم يكن ثمـة غير نهاية واحدة لعلاقة كهذه . ونحن نعرف الان هذه النهاية . لقد كان هو يحتفظ بخطاباتها اليه بينما كانت هي تمزق خطاباته اليها . ومـن نصوص خطاباتها فهمنا ان حرارة حبه لها بدأت تهدأ وتبرد في الاسابيـع الاخيرة ، وقد اعترف هو بذلك قائلا انه كان خاطبا لفتاة جميلة لطيفـة ابنة طبيب في قرية ديرنج فيل المجاورة . وقد رايتهـا في المحكـمة ، شقراء ، هادئة السمت ، رزينة ، ومخلصة .. نعم .. كان الاخـلاص لمارتن وايلد اهم صفاتها التي لفتت الانظار اليها .

وتوقف ساترويت برهة ، ونظر الى المستر كوين كانما يلتمس منـه التشجيع ليستمر في حديثه ، فلما رآه يبتسم ، استطرد يقول :

ـ لعلك قرأت رسالتها الاخيرة اليه بعد ان نشرتها الصحف . انهـا الرسالة المكتوبة في صباح يوم الجمعة ، الثالث عشر من شهر سبتمبر ، وكانت مفعمة بألوان من اللوم والعتاب والتهديدات الخفية ، وقـد اختتمتها بقولها « انني ارجوك وأضرع اليك ان تأتي الليلة حوالي الساعة السادسة مساء ، لسوف اترك الباب الجانبي مفتوحا لك حتى لا يعـرف احد انك حضرت الي . ولسوف اكون في غرفة الموسيقي » . وقد ارسلت

هذا الخطاب بواسطة احد الخدم .

وتوقف المستر ساتروبت برهة قبل ان يسترد قائلا :

ــ وعندما قبض عليه ، انكر مارتن وايلد ، في اول الامر ، انه زارها في الموعد المحدد . ولكنه اضطر للاعتراف امام الادلة التي عثر عليها رجال البوليس . فقد قال هو انه اخذ بندقيته وخرج للرياضة والصيد في الغابات المجاورة ، ولكن رجال البوليس قدموا اليه صور بصمات اصابعه على خشب الباب الجانبي ، وعلى احدى كأسي الكوكتيل الموجودتين فوق المائدة بغرفة الموسيقى . وهكذا اعترف انه زار الليدي بارنابي ، وكانت زيارة عاصفة تبادلا فيها اللوم والاتهامات بالخيانة والغدر ، واخيرا استطاع أن يهدىء ثائرتها وقد اقسم انه نسي بندقيته مرتكنة على جدار بالقرب من الباب الخارجي وانه ترك الليدي بارنابي على قيد الحياة ، وكانت الساعة قد تجاوزت السادسة والربع بدقيقة او دقيقتين . ومضى الى بيته فورا ، هكذا قال . ولكن الادلة اثبتت انه وصل الى بيته في السابعة الا ربعا . وكما قلت الان ، لم تكن المسافة تزيد عن ميل ، اي لا تحتاج الى نصف ساعة لقطعها . اما عن قوله انه نسي بندقيته ، فقد ابى احد أن يصدقه ..

ــ ومع ذلك ؟!

ــ ومع ذلك فليس في هذا اية غرابة ، من وجهة نظري ، فان الانسان عادة يكون في حالة اضطراب نفسي شديد بعد مقابلة عاصفة كالتي حدثت بين الليدي بارنابي ومارتن وايلد . فأية غرابة في ان ينسى اي شيء وهو منصرف بعد مقابلة كهذه في الطريق الى بيته ؟

وصمت ساتروبت برهة اخرى قبل ان يردف قائلا :

ــ ولكن المهم ليس هذا . لان المرحلة التالية من الحادث كانت واضحة . فقد سمع صوت الطلقات النارية في تمام الساعة السادسة والثلث . سمعه الخدم جميعا ، الطاهية ومساعدتها ، ورئيس الخدم ، وخادمة القصر ، والخادمة الخاصة لليدي بارنابي . لقد هرعوا جميعا الى غرفة الموسيقى حيث رأوها مكومة على مقعدها جثة هامدة ، لان الطلقات النارية اطلقت عليها من قرب ، ومن خلف رأسها ، بحيث نفذت من جمجمتها .

ومرة اخرى توقف المستر ساترويت عن الحديث ، فقال المستر كوين :

ـ لقد ادلى الخدم بشهاداتهم طبعا !

ـ نعم . وكانت شهادة كل منهم مطابقة تماما لشهادة الباقين .

ـ الم يشذ احد عنهم ، ابدا ؟

ـ اعتقد ان خادمة البيت ادلت بشهادتها في التحقيقات الاولية ثم سافرت الى كندا ، فلم تحضر المحاكمة .

ـ اه . فهمت .

ونظر ساترويت بسرعة الى وجه كوين وقد احس ان في لهجته وهو ينطق بالكلمة الاخيرة معنى خاصا ، فقال متحديا :

ـ ولماذا لا تسافر ؟

وبعد ان هز كتفيه ، قال المستر كوين :

ـ ولماذا سافرت ؟

وهنا عاد ساترويت الى حديثه عن القضية قائلا :

ـ ولم يكن ثمة شك فيمن اطلق الرصاص . ولكن الخدم لم يعرفوا كيف يتصرفون بسرعة . اذ انه لم يكن بالبيت من يتولى اصدار الامر ، وهكذا مرت لحظات قبل ان يفكروا في استدعاء رجال البوليس تليفونيا ، ولكنهم وجدوا التليفون معطلا عن العمل .

ـ أوه ! وجدوا التليفون معطلا ؟!

ـ نعم . لا يدري احد لماذا ؟ لان الوفاة كانت سريعة ، ولم يكن ثمة امل في انقاذ المجني عليها باستدعاء الطبيب . فلماذا عطل الجاني التليفون اذا كان العطل مقصودا ؟

ولم يقل المستر كوين شيئا ، فاستطرد ساترويت يقول :

ـ ولم يكن هناك احد ابدا لا يعتقد تماما ان مارتن وايلد هو الجاني . فباعترافه اثبت انه غادر القصر بعد دقيقة او اثنتين من السادسة والربع مساء ، وقد سمع الخدم الطلقات النارية في السادسة والثلث تماما . ومعنى هذا انه كان قريبا من البيت في الدقائق الخمس التي سبقت سماع الخدم للطلقات النارية . فمن الذي اطلق النار غيره ؟! لقد ثبت ان السير جورج بارنابي كان يلعب البريدج في بيت صديق يبعد عن بيته ببضعة بيوت . وقد انصرف عن بيت صديقه في تمام السادسة والنصف حيث التقى به احد خدمه عند بوابة القصر واخبره بالنبأ . وليس ثمة اي شك في هذا . اما هنري تومبسون سكرتير السير جورج ، فقد كان في لندن في ذلك اليوم وكان مشتركا في اجتماع خاص بشأن بعض الاعمال

في الوقت الذي اطلقت فيه الرصاصات على الليدي بارنابي . وهنـــاك سيلفيا دبل ، خطيبة مارتن وايد ، وقد ثبت انه لا شأن لها بالجريمة ، لانها كانت عندئذ في محطة قرية ديرنج فيــل تودع صديقة لها استقلت قطار السادسة وثمان وعشرين دقيقة الذاهب الى لندن . ولم يبـق بعد ذلك غير الخدم . ولكن ما هي البواعث التي تدفع احدهم الى قتل الليدي بارنابي ؟ ومع هذا فقد هرعوا جميعا ، بلا استثناء ، الى غرفــة المجني عليها عندما سمعوا الطلقات النارية ، وعلى هذا لم يبق هناك ادنى شـك في ان مارتن وايلد هو الجاني .

ورغم هذا كان صوت المستر ساترويــت يدل على انه غير مقتنــع بما يقول .

ومرت فترة من الصمت ، اخذ الرجلان خلالها يتناولان الطعام وكل منهما مستغرق في تفكيره . وفجأة وضــع ساترويت الشوكة والسكين من يديه ، وقال :

ــ كيف يكون الحال اذا ثبت ان هذا الشاب بريء بعد تنفيــذ حكم الاعدام فيه ؟

وهز المستر كوين كتفيه ، وقال ساترويت :

ــ ولكن . . لماذا ، كما قلت ، رحلت خادمة القصر الى كندا ؟!

ــ يمكنك ان تعرف لماذا يا مستر ساترويت ، بل يمكنك ان تعرف اي مكان في كندا اقامت فيه .

ــ اعتقد هذا . فلا شك ان رئيس خدم القصر يعرف ، او سكرتير السير جورج .

وبعد برهة صمت ، اردف قائلا في تردد :

ــ ولكن ، ما شأني انا بهذا كله ؟!

ــ ان هذا الشاب سيموت على حبل المشنقة بعد ثلاثـــة اسابيــع على الاكثر .

ــ اوه . انا اعرف ماذا تعني ! انك تعني اذا كنت ارتاب في انه لم يقتل المجني عليها ، فمن واجبي ان ابذل كل جهد ممكن لاثبات براءتــه . ولكن اذا عرفت مكان الخادم في كندا ، فان هذا يقتضي ذهابي اليها .

ــ ولماذا لا تذهب ؟ انك رجل موفور الثراء ، وخال تماما من اعبــاء الاسرة ومسئولياتها وكندا بلاد جميلة جديرة بالسفر اليها لمدة اسبوع او اكثر . ثم لا تنس انك بهذا السفر سوف تنتقل من مقاعد المتفرجين على

هذه المأساة الى قلب المأساة نفسها . فمن يدري ، فلعلك تستطيع ان تجد في أقوال هذه الخادمة ما يثبت براءة ذلك الشاب المسكين .

وفكر ساتروبت برهة ، ثم قال :

ــ واذا عدت من كندا ، فأين يمكن ان اجدك ؟

ــ ليس لي مقر ثابت في الوقت الحاضر ، ولكنني أتردد كثيرا على هذا المطعم . فاذا كنت متردداً عليه مثلي ، فلا شك اننا سنلتقي حتما .

واشتد انفعال المستر ساترويت ، وسرعان ما هرع الى مكتب شركة كوك حيث استفسر عن مواعيد البواخر التي ستبحر الى كندا ، ثم اتصل تليفونيا بقصر السير جورج بارنابي ، حيث رد عليه رئيس الخدم ، فقال له :

ــ ان اسمي ساترويت ، واتحدث من . . من مكتب توكيلات قضائية واحب ان أعرف بعض التفصيلات عن الخادمة الشابة التي كانت تعمل في الفصر الى عهد قريب .

ــ اتعني لويزا ؟ لويزا بولارد ؟

ــ نعم . نعم !

ــ اخشى يا سيدي أن أعجز عن تقديم اية خدمة لك في هذا الشأن . فقد رحلت الى كندا منذ ثلاثة أشهر .

ــ هل يمكنك ان تذكر لي عنوانها هناك ؟

ــ لا اظن . كل ما اعرفه انها تقيم في منطقة جبلية ذات اسم اسكتلندي . آه ، اسم المنطقة « بانف » . وهي ، اي لويزا ، لم تكتب الينا أو الى اي احد رسالة كما انها لم تخبرنا بعنوانها الكامل .

ووضع ساترويت السماعة بعد ان شكره . واحس ان روح المغامرة تزداد عنفا في اعماق نفسه ، ومن ثم قرر الذهاب الى منطقة « بانف » هذه ، فاذا كانت لويزا هناك ، فلن يدخر وسعا في البحث عنها ، والوصول اليها .

ولشد ما كانت دهشته حين وجد نفسه يستمتع بالرحلة البحرية الى كندا ، وفي منطقة « بانف » عثر بسهولة على محل اقامة لويزا بولارد ، واذا هو يقف امامها بعد يوم واحد من وصوله الى المنطقة .

كانت امراة في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها ، طويلة القامة ، قوية الجسم ، تنم عيناها على البراءة والوفاء ، وعن شيء من الغباء .

وصدقت بسرعة ما قاله عن رغبته في جمع بعض المعلومات

الخاصة بمأساة ديرنج هيل . وقد قالت في هذا الشأن :

ـ قرات في الصحف ان الحكم صدر بادانته . يا للمسكين . انه لامر محزن حقا .

ورغم انها كانت واثقة من ادانته ايضا الا انها قالت :

ـ كل انسان معرض لارتكاب جريمة كهذه ، وانا لا احب التحدث عن الموتى بسوء ، ولكنني اعتقد ان الليدي بارنابي هي التي دفعته الى ارتكاب مثل هذه الجريمة . لقد ابت ان نتركه وشأنه . حسنا ، لقد نال كل منهما عقابه . فهذه شريعة السماء . وكنت اعرف ان شيئا خطيرا سوف يحدث في تلك الليلة ، وقد حدث فعلا .

ـ وكيف عرفت ؟!

ـ كنت في غرفتي بأعلى القصر ، اغير ملابسي ، وحانت مني نظرة خارج النافذة فرايت القطار يمر ، تاركا وراءه سحابة من الدخان ترتفع الى السماء ، وصدقني اذا قلت ان هذه السحابة ظلت تتشكل حتى تكونت منها صورة يد معقوفة الاصابع كأنها يد القدر تريد ان تبطش بشيء . واحسست بالخوف وانا اقول لنفسي « هذه علامة في السماء .. لا بد ان شيئا خطيرا سوف يحدث ! » وفي تلك اللحظة نفسها سمعت الطلقات النارية داخل القصر ، فقلت « آه . لقد حدث الامر الخطير » . واندفعت من غرفتي ، وانضممت الى زملائي المجتمعين في القاعة الكبرى ، ودخلنا معا الى غرفة الموسيقى ، حيث رأينا الليدي بارنابي مقتولة بطلقات نارية في راسها ، والدماء متناثرة في كل مكان . منظر رهيب . وتحدثت ، نعم ، اخبرت السير جورج بارنابى كيف توقعت حدوث شيء خطير كهذا حين رايت هذه العلامة في السماء .. و ...

وظلت تتحدث في موضوعات مختلفة وساترويت ينصت اليها في صبر ، ويحاول ان يردها الى الحديث عن المأساة كلما ابتعدت عنه . واخيرا ادرك انه ظفر منها بكل ما يمكن من معلومات ، وان حديثها ينم على الصدق وسلامة الطوية .

ولما فكر فيما سمعه منها ، وجد انه لم يظفر بشيء له اهمية خاصة ، ولكن الشيء الواحد الذي اثار اهتمامه هو ضخامة المرتب الذي جعلها تقبل العمل في كندا والرحيل في اسرع وقت من انجلترا . لقد ذكرت له ان الذي قام باجراءات ترحيلها على وجه السرعة ، مدير مكتب تخديم يدعى المستر ونمان ، وهو يقيم في كندا ، وقد حذرها من كتابة اية

رسالة الى زميلاتها او زملائها في انجلترا « حتى لا توقــع نفسهـا في مشكلات مع ادارة الهجـرة » . وقد تقبلت هذه النصيحة منه بــلا تساؤل او ارتياب .

وقرر ساترويت ان يزور ذلك المدعو المستر ونمان . ولم يجد مشقة في العثور عليه او في تبادل الحديث معه . وقد ذكر له هذا المستر ونمان انه زار انجلترا في عام ما ، وان المستر تومبسون سكرتير السير جــورج ادى له بعض الخدمات . وقد شاء ان يرد له الجميل عندما كتب اليــه المستر تومبسون منذ ثلاثة اشهر يرجوه ان يجد عملا في كندا للخادمــة لويزا بولارد ، وقال له ان السير جورج سيضع بين يديه مبلغا كبيرا مــن المال ليضيف منه كل اسبوع جزءا على مرتب لويزا ، فيصبح مرتبا كبيرا يغريها على البقاء في كندا .

واردف المستر ونمان قائلا ، وهو يتراخى في مقعده الوثير باسما :

ــ انها المشكلة المعتادة طبعا ، علاقة سريعة بين السيد والخادمة ، ثم يفيق السيد من نزوته ويسعى الى ترحيل الخادمــة الى مكان بعيد ، تجنبا للفضيحة .

ولكن ساترويت كان يعرف ان هناك شيئا اخر ، اهم واخطر ، جعل السير جورج بارنابي ، او سكرتيره تومبسون ، يعمل على ابعاد لويــزا بولارد من انجلترا بسرعة .

فلماذا ؟ وما هو هذا السبب الخطير ؟

وعاد الى انجلترا ، وهو يحاول ان يعرف هذا السبب بالاستدلالات العقلية والتفكير المنطقي .

ومضى الى مطعم آرليكشينو ذات ليلة وهو يشعر انه عاد من كندا فاشلا . ولم يكن يتوقع ان يلتقي ، من المرة الاولى ، بالمستر كوين جالسا كالمعتاد الى المائدة في ركن القاعة . ولكنه تنهد في ارتياح عندمـا رآه ، فجلس قبالته بعد أن تبادل التحية معه ، ثم قال وهو يتناول شطيرة زبد :

ــ كانت الرحلة فاشلة تماما .

ــ عجبا !!

وهنا حدثه بكل ما سمعه من لويزا بولارد ، ومن مدير مكتب التخديم المستر ونمان . فلما فرغ ، قال المستر كوين بهدوء :

ــ هل انت واثق بأنك لم تظفر من لويزا بما تريد من معلومات ؟

ــ ماذا تعني ؟!

ـ حسنا . حسنا . لقد رسمت لي صورة سريعة عن الحيـاة في قصر ديرنج هيل ، ولكنك لم تحدثني عن اوصافه من الخارج .

ـ لا شيء عن أوصافه يثير الاهتمام . انه قصر صغير مبني بالآجر ، يبدو من الخارج ريفيا ، ولكنه من الداخل رائع .. غرفات نـوم مزودة بالماء الساخن والبارد والحمامات الخاصة ، والسجاجيـد الفـاخرة ، والاثاثات الرائعة ، وهو يقوم في وسط حديقـة مساحتها فدانـين . ولا يبعد عن لندن الا بتسعة عشر ميلا فقط .

وانصت كوين في انتباه ، ثم قال :

ـ اعتقد ان مواعيد سير القطارات مضطربة في هذه المنطقة ؟

ـ لا . بل على النقيض ، انها مواعيد مضبوطة بالثانية . هذه حقيقة انا واثق منها تماما .

ـ والقطار الذي يقوم من محطة قرية ديرنـج فيـل التي بها المس سيلفيا ديل ، هل يمر في طريقه الى لندن على قصر ديرنج هيل ؟

ـ نعم . لماذا ؟!

ـ اتذكر انك قلت لي ان المس سيلفيا ديـل كانت في وقت الحـادث تودع صديقة لها ركبت قطار الساعة السادسة وثمان وعشرين دقيقـة الذاهب الى لندن ؟

ـ نعم نعم . ان اقوالها هذه ثابتة في محضر القضية .

ـ حسنا جدا . الا تستطيع ان تجد علاقة بين هذه الحقيقة ، وبين ترحيل لويزا بولارد من البلاد بسرعة عقب وقوع الحادث ؟

ـ ماذا تعني ؟!

ـ الا يبدو بوضوح ان الذى امر بترحيلها يخشى ان تتحـدث في المحكمة بما تحدثت به اليك ؟

ـ اي حديث تعنى ؟

ـ الحديث عما رات .

ـ وماذا رات ؟؟

ـ علامة في السماء .

وحملق ساترويت في وجه المستر كوين ثم قال :

ـ اتؤمن بمثل هذه الاوهام يا مستر كوين ؟

ـ ربما . فمن يدري ؟ فلعلها رات في تلك اللحظة يد العدالة .

ـ اوه . ما هذا اللغو ؟ لقد اعترفت بنفسها انها لم تر غير سحابة من

دخان القطار الذي كان يمر في تلك اللحظة .
ــ اي قطار ؟
ــ لا شك انه قطار الساعة السادسة وثمان وعشرين دقيقة الذاهب الى لندن .. ولكن .. ان هذا غير ممكن . لانها سمعت في تلك اللحظة صوت الطلقات النارية داخل القصر ، وقد ثبت بالادلة ان الطلقات النارية اطلقت في الساعة السادسة والثلث ، لا السادسة والنصف !
ــ اذن كيف نفسر هذا التناقض في الاوقات ؟
ــ لعله كان قطارا اخر ؟ بضاعة مثلا ؟
ــ لو كان الامر كما تقول ، لما اضطر السير جورج او سكرتيره الى ترحيل لويزا بمثل هذه السرعة .
وحملق ساترويت في وجه المستر كوين مندهشا . هذا بينما استطرد الثاني يقول بهدوء :
ــ هه ..؟ ما رايك ؟!
ــ انني لا زلت في حيرة . اذا كانت الرصاصات اطلقت على المجني عليها في تلك اللحظة التي مر فيها قطار الساعة السادسة وثمان وعشرين دقيقة ، فلماذا اجمع الخدم على انهم سمعوهـــا في السادســة والثلــث تمامـــا ؟
ــ لسبب بسيط ، وهو خطأ في الساعات التي حددت هذا الوقت .
ــ جميع الساعات ؟! ان هذه مصادفة غير معقولة .
ــ انني لا افكر في المصادفة ، وانما في الحادث وقع في مساء يــوم الجمعة ، وقد قلت لي ان السير جورج كان حريصا على مــلء ساعـــات القصر بعد ظهر يوم الجمعة من كل اسبوع .
وهنا قال ساترويت في رهبة ، وقد ادرك كل شيء :
ــ اي انه اخر جميع الساعات عشر دقائق ، ثم ذهب ليلعب البريدج ، ولا شك انه قرأ ، بطريقة ما ، الرسالة التي ارسلتها زوجته الى مارتن وايلد في الصباح فوضع خطة الجريمة باحكام . وقد غادر بيت صديقه في السادسة والنصف ، بينما كانت ساعات القصر كلها تعلن السادســة والثلث فقط . ووصل الى القصر من الباب الجانبي في لحظـات ، ووجد بندقية مارتن الذي نسيها بجوار الباب ، فاستعملها في ارتكاب الجريمة ، ثم اسرع الى الغابة والقى بها ، ثم عاد الى قصره حيث استقبله احد الخدم بالنبأ . اما التليفون ، نعم ، فقد عطله عمدا حتى لا يستعملــه الخدم في

تبليغ الجريمة الى رجال البوليس . لانه لو تم التبليغ تليفونيا لسجل رجال البوليس الوقت الحيققي لوقوع الجريمة ، اي السادسة والنصف تقريبا . وهذه الحقيقة تؤيد قول مارتن وايلد في قوله انـه وصل الى بيته في السابعة الا ربعا ، لانه في الحقيقة غادر قصر السير جورج قبل السادسة والنصف بلحظات ، لا بعد السادسة والربع بلحظة او اثنتين . انني ارى الان كل شيء بوضوح . ان لويزا كانت الخطر الوحيد بحديثها عن اوهامها الخرافية ، وعما رأته من علامات في السماء ، فقد كان من المحتمل ان يفطن احد الى دلالة مرور القطار في موعده المحدد ، وعندئذ تنهار خطة السير جورج من اساسها .

ـ مدهش .. مدهش .

ـ لم يبق غير شيء واحد الان . وهو ماذا نفعل ؟

ـ اقترح ان نعرض الامر على المس سيلفيا ديل ، خطيبة مارتن وايلد.

فبدا الشك على وجه ساترويت ثم قال :

ـ ولكنها .. فتاة . ماذا يمكنها ان تفعلَ ؟

ـ ان لها والدا واخوة يمكنهم اتخاذ الخطوات المناسبة .

ـ اه . هذا صحيح .

وبعد وقت وجيز ، كان ساترويت جالسا مع الفتاة سيلفيـا ديل يقص عليها الامر كله دون ان تقاطعه او تلقي عليه سؤالا ، وانمـا كانت منتبهة اليه بكل حواسها وتفكيرها . فلما فرغ ، نهضت قائلة :

ـ يجب ان استقل الان سيارة مأجورة .

ـ لماذا ؟ ماذا تنوين ان تفعلي يا ابنتي العزيزة ؟

ـ انني ذاهبة الى السير جورج بارنابي .

ـ هذا مستحيل . هذه خطوة خاطئة جدا . اسمحي لي ...

وكان يتواثب بجانبها ، وقد سمحت له بأن يتحدث اليها بما يريد ، وبأن يركب معها السيارة المأجورة ، ولكنها كانت مصممـة على تنفيذ خطتها ، فلما توقفت السيارة المأجورة امام مدخلَ البناية التي يقع فيهـا مكتب اعمال السير جورج بارنابي ، هبطت منها ، تاركة ساترويت فيها ، ثم عادت بعد نصف ساعة وهي تبدو متعبة ، مشعثة الشعر ، تتـراخى خصلات شعرها الذهبي كازهار ذابلة . واستقبلها ساترويت في قلق . ولكنها قالت له بصوت هامس وهي تتراخى في جلستها وتغمض عينيها :

ـ لقد انتصرت .

فهتف قائلا :

ــ ماذا ؟! ماذا فعلت ؟ ماذا تقولين ؟

فاعتدلت في جلستها ، وقالت :

ــ اخبرته ان لويزا بولارد ذهبت الى رجال البوليس وذكرت قصة العلامة التي راتها في السماء ، وقلت له ان رجال المباحث يقومون بتحرياتهم ، وقد شوهدوا يتسللون حول قصره ، ثم يخرجون منه بعد السادسة والنصف بلحظات . وبينت له ان امره قد انكشف ، وان خطته في ارتكاب الجريمة قد انفضحت . وانهارت اعصابه تماما . ولكنني بادرت وذكرت له انه لا يزال امامه متسع من الوقت للهرب ، وان رجال البوليس لن يأتوا للقبض عليه قبل ساعة او ساعتين ، واكدت له انني اذا حصلت منه على اعتراف مكتوب بأنه قتل فيفيان بارنابي ، فلن احول بينه وبين الهرب ، اما اذا رفض ، فسوف اصرخ واجمع عليه سكان البناية واجعلهم يمنعونه من الفرار بعد أن اخبرهم بالحقيقة كلها . وقد بلغ الفزع به حدا جعله لا يدري ماذا يفعل او ماذا يقول . وانت لا تدري او لعلك لا تدري ماذا يمكن ان يفعل الفزع بأعصاب اي انسان . وهكذا كتب الاعتراف ووقعه بامضائه قبل ان يدرك هول ما فعل .

ثم مدت يدها الى ساترويت بالاعتراف المكتوب ، واردفت قائلة :

ــ خذه ، خذه ، فأنت تعرف ماذا ينبغي ان تفعل به حتى يطلقوا سراح مارتن .

وصاح ساترويت ، وهو لا يكاد يصدق عينيه :

ــ عجبا ! انه وقعه بامضائه حقا ؟

ــ لا عجب في هذا ، فان القاتل عادة يكون محدود الذكاء رغم ما قد يبدو من احكام خطته ، والشخص المحدود الذكاء اذا اضطرب وارتبك ، فانه يخطىء في تصرفاته ثم يندم بعد ذلك .

ولما رآها ترتعد ، قال لها :

ــ انك في حاجة الى كاس شراب لتهدئي من روعك ، انني اعرف مطعما جميلا يمكننا ان نجلس فيه قليلا .. انه مطعم آرليكشينو هل تعرفينه ؟

فهزت رأسها . وأوقف ساترويت السيارة المأجورة امام المطعم ، ثم دخله مع الفتاة وهو يتمنى ان يجد المستر كوين في مكانه . ولكن المقعد كان خاليا منه .

وقالت سيلفيا حين رات امارات الاستياء تبدو على وجهه :
ـ ماذا حدث ؟
ـ لا شيء . كنت اتوقع ان التقي بصديق هنا . ولكن لا باس ، فلا شك اني سأراه مرة اخرى ذات يوم .

الفصل الرابع

بيت الاسرار

كان المستر ساترويت يقضي – كالمعتاد – في كل صيف ، بضعة اسابيع في جزيرة كابري . وكانت عادته في اكثر الايام ، عند الغروب ، أن يمضي في ذلك الطريق الذي تحف به الدور الصغيرة البيضاء الراقدة تحت ظلال النخيل ، ومنها الى الشاطىء الصخري ، ومن الشاطىء الى طريق صاعد بين صفين من اشجار السرو ، حيث ينتهي عند ربوة يقوم عليها قصر صغير تحيط به حديقة واسعة يفوح منها شذا الورد والازهار العاطرة .

وعلى بوابة حديقة هذا القصر ؛ كان يقف البستاني العجوز ، الاسباني الجنسية ، مانويل . وكان من عادته ان يقدم لكل عابر من الرجال وردة ناضرة ، ولكل عابرة من السيدات باقة جميلة من الزهور ، ثم يضع في

جيبه ، مع كلمة شكر رقيقة ، ما يجود به الرجال والنساء .
وكثيرا ما كان يحلو للمستر ساترويت ان يتخيل سكان ذلك القصر الذي لم ير فيه بابا او نافذة مفتوحة ابدا ، في يوم من الايام ، وكانت اعذب خيالاته : ان يتصور فيه مغنية اوبرا عالمية ، او راقصة باليه مشهورة ، او ممثلة كان اسمها يملأ الآذان ، وجمالها يملأ العيون ، ثم قررت ان تعتزل عالم المجد والاضواء بعد ان امتد بها العمر ، فانطوت على نفسها في هذا القصر الصغير ، حتى لا يرى احد ماذا فعلت الاعوام بذلك الجمال الذي طالما بهر العيون واسر القلوب .
وللمرة الالف ــ او اكثر ــ راح ينظر في فضول شديد ــ الى نوافذ القصر الصغير ، دون ان يدري هل هو خال تماما أم ان به تلك الساكنة التي خلق حولها اطياف خيالاته . واخيرا انحدر في ممر بالحديقة الى ذلك المرتفع الصخري الرهيب الذي يطل على مياه البحر في منطقة ثائرة الموج دائما . وكان كلما جلس على ذلك المرتفع ، تذكر ذلك السباح الانجليزي الذي غامر ، منذ اعوام عديدة خلت ، بالقفز منه الى المياه الثائرة ، ولكنه عجز عن المقاومة ، فمات غريقا .
وتحولت افكاره الى الحياة والموت . الحياة ... والموت ! ما هي الحياة ، وما هو الموت ؟ هل هو حقا يحيا الان ، ام انه ميت يحلم ، أم انه سوف يحيا بعد ان ينتقل الى عالم اخر ؟
وتنبه من افكاره هذه على صوت وقع اقدام خفيفة وراءه ، ثم على صوت رجل يقول : « اللعنة !! » .
والتفت وراءه ليرى رجلا في منتصف العمر ، ينظر اليه في دهشة واستياء . وتعرف المستر ساترويت عليه فورا ، اذ كان قد رآه ينزل في اليوم الاسبق بنفس الفندق الذي ينزل هو فيه ، وكان هناك ما في مظهره وتصرفاته قد لفت انتباهه اليه . فرغم انه ، اي ذلك الرجل الانجليزي ، كان قد تجاوز الاربعين من عمره ، فقد كان يبدو كانه في ميعة الشباب والصبا ، ومن ثم كان ساترويت يقول لنفسه كلما رآه :
« هذا الرجل من الاشخاص الذين يعيشون طيلة اعمارهم اطفالا » .
كان ممتلىء الجسم بعض الشيء ، طويلا ، ينم وجهه على انه لم يحرم نفسه يوما من أطايب الحياة ، ولكن شيئا ما في عينيه العسليتين كان يدل على حزن عميق أو اضطراب او قلق مقرون بالدهشة والتساؤل .
وتنبه ساترويت من افكاره على صوت الرجل ، وهو يقول له بلهجة

اعتذار وارتباك :

ـ انني آسف . فالواقع اني دهشت وفوجئت . فما كنت اتوقع ان ارى احدا في هذا المكان المنعزل .

فتزحزح ساترويت من مكانه قليلا ، كأنما يدعو الرجل الى الجلوس بجانبه ، فلما قبل هذا الدعوة ، وجلس ، قال له :

ـ الواقع انه كان منعزلا فعلا .

ـ ومع ذلك فكلما جئت اليه ، وجدت فيه .. شخصا ما .

وكانت نبرات صوته تنم على الضيق والاستياء .. ترى لماذا ؟!

وهز ساترويت كتفيه ، وهو يقول :

ـ اذن فقد جئت اليه من قبل ؟

ـ كنت هنا مساء امس ، بعد العشاء .

ـ احقا ؟ كنت اظن ان بوابة الحديقة تغلق بعد العاشرة مساء .

ـ نعم .. ولكنني تسلقت سياجها .

ـ وهل وجدت احدا هنا في مثل هذا الوقت ؟

ـ نعم .. وكان يرتدي ثوبا تنكريا .

ـ نعم .. ثوبا كالذي يرتديه المهرجون ، والذي يسمى «هار ليكوين»

فنظر اليه ساترويت في دهشة وانفعال ، ثم قال متسائلا :

ـ ما هذا ؟!..

ـ ان نزلاء الفندق يرتدون عادة مثل هـذه الملابس التنكرية في الحفلات الراقصة .

ـ اه !.. نعم .. هذا حق .

ـ لقد ادهشني هذا الرجل بظهوره المفاجيء ، ثم باختفائه المفاجيء ، وكأنه شبح يظهر ويختفي دون ان يعرف احـد من اين جاء والى اين ذهب . لقد خيل الي انه جاء من البحر .

ونظر ساترويت الى الهاوية العميقة التي تنتهي بمياه البحر ، بينما اردف الرجل قائلا :

ـ ولكن هذا مجرد وهم بطبيعة الحال ، فليس في هـذا المرتفع الصخري مكان تقف عليه ذبابة . انه هاويـة تؤدى .. تؤدي الى النهاية في لحظة وهو ايضا مكان نموذجي لارتكاب جريمة قتل .

وحملق الرجل في وجهه مندهشا ، ولكنه لم يلبث ان غمغم قائلا :

ـ اه .. نعم .. نعم .. مجرد دفعة باليد ، ثم ينتهي كل شيء .

وخيم الصمت على الرجلين . واستغرق كل منهما في افكاره .
وفجأة قال الرجل الغريب كأنما يحدث نفسه :

ـ ما جدوى كل هذا ؟ لماذا نحيا ، ولماذا نموت ؟

ونظر اليه ساترويت دون ان يقول شيئا ، فاستطرد الرجل يقول :

ـ سمعتهم يقولون انه ينبغي ان يبني كل رجل بيتا ، وان يزرع شجرة ، وان ينجب ولدا .

ثم صمت برهة قبل ان يردف قائلا :

ـ اعتقد اني وضعت ذات يوم بذرة ابن .

واضطرم وجه ساتروبت ، وقرر ان يعرف من امر هذا الرجل الشاب كل ما يمكن ان يعرفه . ولم يجد ثمة مشقة في هذا . فما لبث هذا ان راح يفضي بالحديث عن نفسه ، وكأنما يجد في الافضاء راحة من شيء يثقل عليه .

ان اسمه انتوني كوزدين ، وان حياته صورة مطابقة لما تخيلها المستر ساترويت . حياة رجل ورث في شبابه ثروة طيبة تدر عليه ريعا سنويا لا بأس به . وعاش بهذا الريع حياة اقرب ما تكون الى الفراغ والترف . اصدقاء كثيرون ، ومباهج متوالية من الحياة ، ونساء كثيرات . حياة يمكن ان يقال عنها بصراحة : « حياة بوهيمية » ولكن ساترويت قال لنفسه : « ولكن هناك انواعا من الحياة أسوأ من هذه بكثير » .

ثم جاءت النهاية .

جاءت اولا غامضة مبهمة . لقد احس ذات يوم بألم بسيط . ونصحه الطبيب بأن يعرض نفسه على اخصائي في شارع هارلي ستريت . ومع مرور الايام عرف الحقيقة تدريجيا حين اخذ الاطباء ينصحونه بالحياة في هدوء وترفق ، وعدم اجهاد بدنه او اعصابه . وانتهى الامر بانه عرف ان الفترة الباقية من عمره لا تزيد على ستة اشهر .

واستدار انتونى بعينيه المتلئتين بالتساؤل والقلق والدهشة ، ونظر الى ساترويت ، كأنما يقول له : « ما رأيك » . ولم يجد ساترويت ما يقوله ، فاستطرد الرجل الشاب قائلا : انه جاول جهده ان ينسى اقوال الاطباء ، وأن يمضي في حياته كالمعتاد ، ولكنه ادرك بعد ايام معدودة ان هذا غير ممكن ، فان اصدقاءه ، وصديقاته ، بدأوا في الانصراف عنه . انهم يريدون الحياة في بهجة ومرح ، ويحبون الصديق المتلىء الجيب بالمال ، والقلب بالحياة ، لا الانسان الذي يعيش بينهم في كفن .

واخيرا قرر ان يغادر وطنه ويأتي الى هذه الجزيرة .
وقال ساترويت وهو يحاول ان يجد ما يقوله :
ـ ولماذا هذه الجزيرة بالذات ؟! هل سبق ان جئت اليها ؟
ـ نعم .. وانا شاب في العشرين ، او الثانية والعشرين من عمري .
وفجأة التفت وراءه ، وارسل نظرة سريعة الى القصر الصغير القائم فوق الربوه ، ثم قال :
ـ انني أتذكر هذا المكان . فان خطوة واحدة منه تؤدي بالانسان الى النهايـة .
ـ الهذا جئت امس .. والليلة ؟!
فنظر انتوني كوردين اليه في استياء ، ثم قال :
ـ أوه .. اعتقد ان هذا الامر لا يخصك في شيء .
ـ لقد وجدت ليلة امس شخصا ، ووجدتني اليوم ، وهذا يعني ان حياتك انقذت مرتين .
ـ يمكنك ان تقول ما تشاء . ولكن اللعنة على كل شيء . انهـا حياتي . وانا حر التصرف فيها .
ـ هذا تعبير معروف اصبح الان على كل لسان .
واعتدلت لهجة انتونى وهو يقول :
ـ طبعا طبعا .. انني ادرك حقيقة موقفك مني . فمن واجبـك ان تنصحني وان تخفف عني ، وان تبث الامل في قلبي . فهـذا واجبك حتى لو كنت تدرك تماما انني على حق . ولكن أليس من الافضل ان أضع نهاية سريعة حاسمة لحياتي بدل هذا الانتظار الرهيب للموت ؟.. بدل ذلك العذاب المنتظر في الايام او الاسابيع السابقة على الموت ! انني لن اكون آسفا على شيء ، لانه ليس لي في الحياة من أهتم به .
فقال ساترويت بسرعة :
ـ ولو كان ذلك في الحياة من يهمك امره ؟..
ـ انني لا ادري . ولكنني مع هذا كنت ارى ان هذه الطريقة افضل . وعلى اية حال فليس لي ...
ثم توقف عن الحديث فجأة . فقال له ساترويت :
ـ اليست لك .. حبيبة ؟!
ـ عرفت نساء كثيرات . ولكنها كانت كلها علاقات عابرة ، الا ..
ومرة اخرى صمت فجأة ، ثم اردف :

ـ تمنيت لو كان لي ابن .. ولكن .. ما جدوى هذه الامنية ؟ حتى لو تحققت ، فان الفترة الباقية من حياتي لا تزيد على ستة اشهر ، بل خمسه اشهر وستة ايام على التحديد .

ـ ان الوقت ، مثل كل شيء ، مسألة نسبية . فمن يدريك ان هذه الاشهر الستة قد تكون اجمل شهور في حياتك كلها ، واحفلها بالبهجة العميقة الحقيقية ؟.. هذا على فرض صحة اقوال الاطباء .

فبدا عدم الاقتناع على وجه انتوني كوزدين ، وهو يقول :

ـ لو كنت في موضعي ، فهل في مقدورك ان تحتمل هذه الشهور الستة ؟

فضحك ساترويت ، وقال :

ـ اولا ينبغي ان اكون شجاعا جدا لمواجهة هذه الاشهر الاخيرة من حياتي ، واخشى ان اقول انني لا انمتع بمثل هذا اللون من الشجاعة ، وانا ثانيا ...

ـ حسنا ؟!

ـ احب دائما ان اعرف ماذا يخبئه الغد لي .

وهنا نهض انتوني وارسل ضحكة جوفاء ، وقال :

ـ حسنا يا سيدي . اشكر لك هذه الفترة الطيبة التي أتحت لي فيها فرصة الحديث . ولست ادري لماذا تحدثت . والان ، اذا سمعت عن حادث وقع لي ، فأرجو الا تخبر أحدا انه حادث مدبر مقصود . ولكن لا .. يمكنك ان تقول ما نريد ، فهل يضير الانسان ما يقال عنه بعد ان ينفض يديه من الحياة ؟

ثم اردف قائلا وهو يهم بالانصراف :

ـ انني لا اريد الليلة ان يقال عنك انك دفعتني بيدك من فوق هذا المرتفع ، ولا بأس من تأجيل هذا الانتحار الى غد او بعد غد . فليس هناك ما يدعو الى التعجل . حسنا . ارجو ان أراك الليلة في الفندق ، بعد العشاء .

وبعد انصراف الرجل ، بقي ساترويت منفردا بنفسه ، ينظر الى الافق البعيد ، ثم يقول لنفسه :

« والآن .. ماذا بعد ؟ »

واخيرا نهض واقفا ، ثم استدار نحو الربوة ، ومضى في طريقه اليها ليخترق حديقة القصر ، ومنها الى الطريق المنحدر نحو الفندق .

ولكنه توقف فجأة امام القصر الصغير ، وراح ينظر في شفق الغروب الى نوافذه المغلقة . وعادت اطياف خياله تحوم حول تلك « الراقصة او المغنية » التي لعلها تقيم فيه بعيدا عن اضواء المجد والشهوة ، بعد ان اخذ جمالها في الذبول ، واستبد به الفضول ، فاذا هو يتقدم نحو كومة من الاحجار وينسلقها الى نافذة قريبة ، ثم يجذب مصراعها الخشبي كأنما يختبره . ولشد ما كانت مفاجأته حين وجد المصراع يستجيب له ، وينفتح ، واذا هو يتراجع حين رأى امامه سيدة في ملابس سوداء ، وتغطي رأسها بمطرف حريري اسود ، جامدة الوجه ، تنظر اليه في صمت .

وارتبك ساترويت ، وراح يعتذر بكل ما طرأ على ذهنه من كلمات ايطالية وفرنسية واسبانية قليلة ، وفيما هو يتراجع في خجل ، اذا به يتوقف حين سمع المرأة تقول له بصوت جاد كالطلق الناري :

ـ تعال .

وبلغ من قوة اللهجة الآمرة ان توقف ثم عاد ادراجه كالكلب الذي يلبي ، في ذلة ، امر سيده . حتى اذا وقف متسمرا امام النافذة ، قالت له بصوت اقل حدة :

ـ هل انت انجليزي ؟

وعاد ساترويت يقول معتذرا :

ـ لو كنت اعرف انك انجليزية ، لاحسنت الاعتذار باللغة التي اتقنها . انني اعتذر باخلاص عما فعلت . ان الفضول وحده هو الذي دفعني الى هذه النافذة . ولم اكن اعرف انها سهلة الفتح . والواقع اني كثيرا ما تساءلت عما في داخل هذا القصر .

وهنا أرسلت ضحكة عميقة عذبة ، وقالت :

ـ اذا كنت حقا تريد هذا ، فيحسن ان تتفضل بالدخول لترى بنفسك .

ثم تنحت له جانبا ، فدخل ساترويت ، وهو اشد ما يكون ابتهاجا ، ووجد نفسه في غرفة ذات اثاث فاخر ، ولكن الغبار كان متراكما على كل شيء فيها .

وقالت المرأة :

ـ اننا لن نجلس هنا ، لاننا لا نستعمل هذه الغرفة .

ثم عبرت معه بهوا كبيرا ، ومضت به الى غرفة اخرى في الجانب

الخلفي من القصر ، تطل على مياه البحر . وكانت ايضا فاخرة الاثاث ، ولكنها نظيفة مريحة .

ودعته الى الجلوس على مقعد وثير ، وهي تقول :

ــ لسوف تشرب الشاي معي . انه شاي جيد تحسن خادمتي صنعه .

ثم مضت الى باب الغرفة واصدرت تعليماتها باللغة الاسبانية ، وبعدئذ عادت وجلست امامه . واستطاع عندئذ ان يتأملها بامعان .

كان اول شعور خامره وهو يراها احساسه العميق بالشيخوخة امام فورة انوثتها ، ووفرة حيويتها ، ونضارة مظهرها ، وقوة شخصيتها . كانت طويلة القامة ملفوفة الجسم ، خمرية اللون ، واسعة العينين ، رائعة الجمال ، رغم انها في نحو الاربعين من عمرها .

وكان مجرد وجودها في الغرفة يجعل ضوء الشمس الغارب كأنه ضوءها وهي في سمت الضحى ، باهرا ، ساطعا ، وكان مجرد الجلوس امامها يشعر الانسان بهذه المتعة التي يحسها في يوم بارد وهو جالس امام مدفأة تطرد عنه البرد وتماؤه بهذا الدفء الممتع .

وقال لنفسه :

« لقد بلغت وفرة حيويتها ان راحت تنشرها حول من يجلس معها ».

ومع هذا كله كان يشعر بشيء من الخوف ، لانه لم يكن يميل ابدا الى المراة ذات الطابع المسيطر .

وقالت له ، بعد ان تأملته بدورها طويلا :

ــ انني سعيدة بحضورك ، لانني كنت في اشد الحاجة الى من أتحدث معه هذا المساء . ويبدو لي انك من الاشخاص الذين يطمئن الانسان في حديثه معهم .

واقبلت الخادمة بالشاي ، وبعد انصرافها ، قال هو على سبيل المحادثة :

ــ اتقيمين هنا ؟

ــ نعم .

ــ دائما !! ان القصر دائما مغلق ، او هكذا يبدو لي .

ــ انني اقيم هنا معظم اوقات السنة دون ان يعرف ذلك كثير من الناس ، لانني استعمل فقط هذا الجانب الخلفي من القصر .

ــ وهل هو ملك لك منذ .. منذ امد بعيد ؟

ـ منذ اثنتين وعشرين سنة تقريبا . وقد عشت فيه عاما كاملا قبل ذلك التاريخ .

ـ هذه مدة طويلة جدا !

ـ العام ام الاثنين والعشرين عاما ؟

ـ ان هذا يتوقف ...

فاومأت براسها ، وقالت :

ـ نعم .. ان هذا يتوقف على نوع الحياة نفسها . والواقع انهما ـ من هذه الوجهة ـ فترتان منفصلتان تماما . ولست ادري ايهما اطول من الاخرى . وحتى الان لا ادري .

وبعد برهة من الصمت ، عادت تقول ، وهي تبتسم :

ـ لقد مضت فترة طويلة لم اتحدث فيها الى احد . ويلوح لي انك من الاشخاص الذين يحبون ان يعرفـوا اسرار الغـير . لا لا .. لا تعتذر . فان الحياة احيانا تكون مهملة لا سيما اذا عاش الانسان ينتظر شيئا .. ويطول انتظاره ..

فابتسم ، وقال :

ـ يخيل لي انك لست من الذين يقفون على هامش الحياة وينتظرون . فانك واحدة من اللاني رأى القدر ان يجعلهن في خضم معركة الحياة .. ان يكن صاحبات الادوار الرئيسية في مسرحيات الحياة .

ـ ما اعجب ما تقول !

ـ ومع ذلك فانا واثق مما اقول . فلا شك ان في حياتـك الشيء الكثير من التجارب ، او ربما من المآسي .

وضاقت عيناها قليلا وهي ترسل نظراتها نحو مياه البحر ، ثم تقول :

ـ لو انك مقيم هنا منذ فترة طويلة ، لاخبرك شخص مـا عن السباح الانجليزي الذي غرق في اسفل ذلك المرتفع الصخري . ولحدثك عـن شبابه وقوته وجماله ، وعن زوجته الصغيرة التي وقفت على قمة المرتفع وشاهدته وهو يغرق .

ـ لقد سمعت شيئا عن هذه المأساة .

ـ ذلك الشاب كان زوجي ، وهذا القصر كان ملكا له . وقد تزوجني وجاء بي الى هنا وانا في الثامنة عشرة من عمري . وبعد عام مات غريقا . حملته الامواج ودفعت به الى الصخور المسنونة ، وظلت تضربه فيها حتى

مزقت جسده .

وفوجىء المستر ساترويت بحديثها ، وحاول ان يقول شيئا ، ولكنها استطردت تقول وهى نحدق النظر في وجهه :

ــ لقد تحدثت عن المآسي ، فهل سمعت عن مأساة اقسى من هذه ؟ زوجة شابة . لم يمض على زواجها من حبيبها غير عام واحد ، ثم اذا هي نقف ذات يوم ، عاجزة تماما ، وترى حبيبهـا وشريك حياتها ، وهـو يصارع الموت من اجـل الحيـاة ، واخـيرا يصرعـه المـوت في ابشـع صـورة ؟

فقال ساترويت في تأثر عميق :

ــ هذا فظيع .. نعم .. انني اتفق معك في انها مأساة ليس لهـا مثـيل .

فأرسلت ضحكة عالية وهى تتراجـع براسها الى الوراء ، ثم قالت :

ــ بل هناك ما هو ابشع وافظـع من هذه الصورة .. انهـا صـورة الزوجة الشابة وهي واقفة فوق المرتفع ترجو وتبتهل الى الله ان .. ان نغرق زوجها .

ــ يا اله السموات ! انك لا تعنين !..

ــ نعم .. هذا ما اعنيه تماما . لقد كنت راكعة هنـاك على المرتفع ابتهل الى الله . وكان الناس جميعا يحسبونني ابتهل لنجاته ، ولكنـنى على النقيض ، كنت أضرع الى الله ان يخلصني منه ، وان يحررني في الوقت نفسه من هذه الامنية الشريرة . كنت اقـول : « طهر نفسى يا ربى من رغبة رؤبته ميتا » . ولكن لم يكن ثمة فائدة ، فقـد كنـت اتمنى موته بكل ذرة من كياني .

وصمتت برهة قبل ان تردف قائلة بصوت اكثر رقة :

ــ اليس هذا فظيعا ؟ اليس هذا من نوع الانفعالات التي لا يمكـن للمرء ان ينسـاها ؟ نعم ! لقد بلغت سعادتي ذروتها حين علمت انه مات ، وانه لن يستطيع العودة لتعذيبي .

فتمتم ساترويت مصدوما :

ــ يا طفلتي المسكينة !

ــ نعم .. كنت في ذلك اصغر من ان يحدث لى شيء رهيب كهذا . ان مثل هذه المآسى ينبغى ان تحدث ونحن اكبر سنا ، واكثر تجربة ، اي عندما نكون مستعدين لاحتمال فظاعتها . ولم يكن احد يعرف ماذا كنت

أعاني منه . لقد حسبته عندما رايته اول مرة ، شابا رائعا . ولشـد ما احسست بالزهو عندما طلب يدي للزواج ، ولكنني فوجئت ، بعد زواجنا ، بوحشيته ، كان يغضب مني لأتفه سبب . ولم يكن ثمة شيء اقوم به ، يرضيه . وقد بذلت كل جهد لارضائه . كان يحلو له تعذيبي ، ويلتمس السعادة من افزاعي . وكان يبذل كل جهوده لابتكار الوسائل التي تشقي حياتى وتملأ ايامي بالرعب . ولا استطيع ان اذكر لك شيئا منها ، لكن يكفي اني ظننته مجنونا . وكنت هنا بمفردي ، في قبضة يـده ، وتحـت رحمته ، فاتخذ من تعذيبي هواية له . وكان أسوأ ما في الامر انني كنت حاملا ، وقد فعل بي شيئا جعل الطفل يولد ميتا . طفلي انا .. مـات اثناء الوضع ، وقد كدت انا ايضا اموت ، ولكنني لم أمت وتمنيت الموت ، ولكن لم أمت لكي اتعذب .

وتمتم المستر ساترويت بكلمات عزاء مبهمة ، بينما استطردت هي قائلة :

ـ واخيرا جاء الخلاص .. بالطريقة التي حدثتك عنها . فان بعض الفتيات المقيمات في الفندق سخرن منه قائلات انه لا يستطيع القفز من ذلك المرتفع الى الماء . واراد هو ان يثبت قوته وبراعته رغم ان الجميـع اكدوا له ان هلاكه في هذه المغامرة . ولكنه كان شديد الزهو والغرور . وقد شهدته وهو يقوم بالمغامرة ، ثم وهو يغرق . وسعدت بالخلاص منه . وليغفر لي الله .

ومد ساترويت يده النحيلة الجافة ، وضغط بها على يدها وقد خيل اليه ان آثار الزمن قد تلاشت عن وجهها ، واذا هي قـد ارتـدت الى التاسعة عشرة من عمرها .

وعادت تقول :

ـ ولم اصدق الامر من فرط سعادتي . فقد اصبـح القصر ملكـا خالصا لي ، وغدا في مقدوري ان اعيش فيه دون ان يعذبني او يشقيني احد . وكنت في حياتي يتيمة ، ليس لي اقارب يهمهم أمري . وقـد ادى هذا الى تبسيط حياتي ، فعشت بعد مصرعه ، كأني في الجنـة . نعم . كنت اسعد انسانة في الوجود . وكان يكفيني ان اشعر بالسعادة حـين اذكر أني اقضي ايامي بلا آلام او احزان او خوف مما سيفعله بي بين لحظة واخرى . نعم .. كنت كالذي يعيش في جنة الخلد .

ولما توقفت عن الحديث ، قال المستر ساترويت :

ــ وبعد ذلك ؟!

ــ اعتقد ان الانسان بطبيعته لا يقنع بشيء . فبعد اشهر من هذه الحياة الهانئة بدات أشعر بالعزلة ، والوحشة . بدات افكر في طفلي الذي مات . فلو انه كان لي طفل فقط ! كنت اريده طفلا ، ولعبة اتسلى بها . كنت اهفو بكل كياني الى شيء او الى شخص اتسلى به . وقد تعتبر هذا حماقة صبيانية . ولكن كان هذا هو الواقع .

ــ نعم .. نعم .. انني افهم .

ــ من العسير ان اشرح لك ما حدث بعد ذلك بالتفصيل . كان ثمة شاب انجليزي يقيم في الفندق ، وفي ذات ليلة وصل مصادفة الى حديقة القصر ، وكنت ارتدي ثوبا اسبانيا ، فحسبني فتاة اسبانية من قرية مجاورة . وخطر لي ان اتسلى وانظاهر بأني اسبانية حقا ، ومثلت دوري بمهارة رغم ان اسبانيتي كانت رديئة ، ولكنه لم يكن يعرف منها غير عبارات قليلة . وزعمت له ان القصر ملك لسيدة انجليزية ارستقراطية سافرت الى منطقة نائية . وقلت انها هي التي علمتني لغتي الانجليزية البسيطة ، ولشد ما كان سروري وانا امثل دور المتحدثة بلغة انجليزية سقيمة . وبدأ هو في مغازلتي ، واستجبت له ، وتظاهرت معه ان القصر ملك لنا ، واننا تزوجنا في تلك الليلة ، وجئنا للاقامة فيه . واقترحت ان نتسلل الى القصر عن طريق احدى النوافذ ــ نفس النافذة التي دخلت انت منها . وكان مصراعها مفتوحا من الداخل . ودخلنا في حذر الى الغرفة التي كانت ، كما هي الان ، مهملة ، يعلوها الغبار ، وعلى الجملة كانت لحظات جميلة مليئة بالاثارة والانفعالات .

وتوقفت فجأة عن الحديث ، ونظرت الى ساترويت طويلا كأنما تلتمس منه أن يدرك شعورها ويلتمس لها العذر . ثم استطردت تقول :

ــ كان كل شيء يبدو رائعا ، وكأننا نعيش في اسطورة عذبة ، او في قصر مسحور . وكان اجمل ما في الامر كله انه كان يلوح لي خياليا لا اثر فيه للحقيقة .

وأومأ ساترويت برأسه ، بينما استطردت هي تقول :

ــ وكان يبدو لي شابا انجليزيا من الطراز العادي ، غادر بلاده في رحلة قصيرة للمتعة والنزهة . ولكنه كان لطيفا ، مرحا . وقد تمادينا في القيام بدور الزوج والزوجة ، اتفهم ؟

وبعد برهة من الصمت ، عادت تقول :

ـ نعم تمادينا في القيام بهذا الدور . وعاد هو في صباح اليوم التالي الى الحديقة ورأيته من خصاصات نافذة غرفة نومي ، ولم يخطر بباله طبعا انني مقيمة في القصر ، فقد كان يحسبني فتاة اسبانية قروية ، وكان قد طلب مني ان اقابله في اليوم التالي ، ومن ثم راح يتلفت حوله وينتظر. ولم اكن من ناحيتي انوي ان أكرر المقابلة . ولكن بدا لي انه كان يشعر بالقلق من اجلي ، ومما فعل بي في الليلة الماضية . نعم .. كان شابا لطيفا رقيق الاحساس .

وتوقفت مرة اخرى عن الحديث قبل ان تستطرد قائلة :

ـ ولم يعد في اليوم التالي ، غادر الجزيرة . ولم أره بعد ذلك . ولكن طفلي منه ولد سليما بعد تسعة اشهر . وكنت في خلال هذه الاشهر اسعد انسانة في الوجود ، وفاضت كأس سعادتي عندما حملت لاول مرة الطفل ، طفلي انا ، بين ذراعي . وتمنيت في تلك اللحظات لو اني سألت ذلك الشاب الانجليزي عن اسمه ، حتى اسمي الطفل به . فقد بدا لي انني ظلمته في احتفاظي بالطفل لي وحدي . ولكنني كنت في اعماق نفسي اشكره واعترف بجميله لانه اعطاني كل ما كنت اتمناه في حياتي .

ـ هل الطفل موجود حتى اليوم ؟

ـ نعم . ان اسمه جون ، وهو الان شابرائع في العشرين من عمره ، واني اتمنى لو انك تراه . وسوف يغدو مهندس مناجم ، وكان ، ولم يزل ، اجمل وأبر الابناء . وقد قلت له : ان والده الانجلبزي توفي قبل مولده بأسابيع قليلة .

وحملق ساترويت في وجهها مندهشا لهذه القصة التي سمعها ، ولكنه كان في الوقت نفسه يشعر ان القصة لم تتم فصولها بعد . ومن ثم قال :

ـ ان عشرين عاما وقت طويل جدا . الم تفكري في الزواج مرة اخرى خلاله ؟

ـ كان ابني يملأ حياتي دائما .

ثم اردفت قائلة ، وهي تنظر الى مياه البحر في ذهول :

ـ ولكن الحياة لا تبقى على حالة واحدة ابدا . لا بد ان تقع فيها الاحداث ، وكثيرا ما تكون هذه الاحداث عجيبة غريبة غير منتظرة . ولعلك لن تصدقني مثلا حين اقول لك انني لن اكن أحب والد ابني جون عندما عرفته في تلك الليلة او بعد ذلك بأشهر . بل لم اكن اعرف ما هو الحب

في ذلك الحين . وقد توقعت ، بداهة ، ان يكون الابن شبيها بي . ولكنه جاء لا يشبهني في شيء . بل ان من يراه لا يظن انني امه . لقد جاء شبيها بابيه تماما . وهكذا تعلمت كيف اعرفه اباه عن طريقه . وعن طريق هذا الابن تعلمت كيف احب ذلك الاب الذي لم اعرفه غير ليلة واحدة ، واني لأحبه الان ، وسوف اظل احبه الى غاية العمر ، لعلك ستقول انني واهمة ، وانني اقمت حبي على اساس من الوهم ، ولكن لا ، تأكد انني احب الان ذلك الرجل .. احب الرجل بدمه ولحمه وكل شيء فيه ، أعني انني لا احب صورته او خياله . ولو اني رأيته الليلة او غدا فسوف اعرفه فورا رغم هذه الاعوام العشرين التي مرت على فراقنا . ان حبي له هو الذي انضج انوثتي . ولهذا فاني احبه حب الانثى الناضجة للرجل القوي . وقد عشت هذه الاعوام العشرين وانا احبه وسوف ابقى على هذا الحب حتى الممات .

وتوقفت فجاة قبل ان تردف قائلة في تحد :

ـ هل تظن انني مجنونة اذ اقول هذا ؟

فتناول ساترويت يدها بين يديه وتمتم قائلا بحنان :

ـ لا لا . مطلقا يا عزيزتي .

ـ هل تفهم حقيقة مشاعري ؟

ـ نعم .. نعم .. ولكن هناك شيئا اخر . شيئا لم تخبريني به بعد .

فقطبت جبينها برهة ، ثم قالت :

ـ نعم . هناك شيء اخر ، ويلوح لي انك خبير بدخائل النفوس . ولكننى اؤثر الا اخبرك بهذا الشيء لمصلحتك .

وعندئذ قال ببطء :

ـ حدث شيء لم يكن متوقعا . أليس كذلك ؟

وطرفت عيناها قليلا ، ثم هزت راسها في استسلام ، وقالت :

ـ نعم . ولكنني أؤثر الا اخبرك به ، وذلك ، كما قلت ، لمصلحتك .

ـ هل تخشين ان اصبح شريكا في المسؤولية اذا عرفت ؟

فشحب وجهها فجاة ، وزمت شفتيها ، وعندئذ قال لها :

ـ انك تفكرين في الانتحار ؟

ـ اوه !! كيف عرفت ؟! كيف عرفت ؟!

ـ هذا عجيب ؟! انني لم ار في حياتي امراة ممتلئة بالحيوية والرضا

وحب الحياة مثلك ، فلماذا تفكرين في الانتحار ؟!
فنهضت ومضت الى الشرفة المطلة على البحر ، ثم قالت :
ــ لانقذ ابنى من الحقيقة . انه لا يعرف انه ابن سفاح ، انه ابن ليلة غرام . فلو عرف هذه الحقيقة فسوف ينهار تماما ، لانه شديد الاعتزاز بنفسه . وقد احب اخيرا فتاة وقرر الزواج بها . وسوف يحضر بعد وقت قريب ليعرف كل شيء عن ابيه .. عن حسبه ونسبه حتى يكون مستعدا لاسئلة اهل الفتاة . فلو عرف حقيقة امره ، فسوف يقطع علاقته بالفتاة ، وسوف يرحل الى مكان ناء ليغرق نفسه في الشراب والضياع . اوه ! انا اعرف ماذا تريد ان تقول . ولكن لا . انني اعرف ابني اكثر منك : انه لن يطيق ابدا ان يعيش بين اشخاص يعرفون انه ابن سفاح . والناس في مثل هذه الحالات لا يرحمون ولا يغفرون . ولكن اذا وقع لي « حادث » قضى على حياتي قبل مجيئه ، فسوف يضيع كل شيء في غمار هذا الحادث ، وعندما يفتش الاوراق التى سأتركها ورائى ، فانه لن يجد شيئا ، وسوف يستاء لانني لم اخبره بشيء كثير عن ابيه . ولكنه لن يشك في شيء . هذه هي الوسيلة الوحيدة . وعلى الانسان ان يدفع ثمن سعادته ! وقد اغترفت من السعادة الشيء الكثير بحيث أعتبر ان تضحيتى بحياتى ثمن يسير . كل ما احتاجه بعض الشجاعة لأقفز من فوق المرتفع ، ثم اتحمل عذاب الموت لحظة او لحظتين .
ــ ولكن يا طفلتي العزيزة .
ــ لا تتعب نفسك في محاولة اقناعى . لقد قررت امرا وانتهيت منه وحياتى هي ملكي الخاص ، وكان ابني جون في حاجة اليها لينمو ، وقد نما . وهو الان في حاجة الى أن أفقدها لينجو من العار . ولسوف أضحي بها من أجله . وان من حقى ان افعل بحياتى ما أشاء .
ــ هل انت واثقة من هذا ؟
ــ كلّ الثقة ، لان حياتي لم تعد نافعة لاحد .
ــ ومن ادراك ؟
ــ ماذا تعني ؟
ــ اسمعي ، لسوف اضرب لك مثلا على ان حياة اى انسان قد تكون نافعة لانسان اخر دون ان يدري ، بل قد تكون سببا في حياة انسان اخر بلا قصد منه . فقد حدث مثلا ان جاء رجل الى المرتفع ليلقى بنفسه الى البحر ، ولكنه وجد رجلا اخر جالسا ، ففشل في تحقيق رغبته وعاد من

حيث اتى ليعيش . فما معنى هذا ؟ معناه ان الرجل الثاني ، انقذ ، بلا قصد او غرض ، حياة الرجل الاول . اي ان وجود الرجل الثاني على قيد الحياة كان السبب في انقاذ راغب الانتحار من الموت . وانت مثلا ، الا يمكن ان تكوني سائرة في الطريق ، في زمان محدود في مكان معين اثناء انطلاق جواد جامح . ويوشك هذا الجواد ان يدوس بسنابكه طفلا يحبو ، ولكنه ــ اي الجواد ــ يراك ، فينحرف نحوك ، وتستطيعين انت ان تتجنبي خطره ، وبذلك ينجو الطفل ــ بسبب وجودك على قيد الحياة ــ ثم يعيش ليصبح مخترعا عظيما ، او طبيبا نابغة يكشف علاجا لمرض السرطان او عقارا مثل البنسلين ومشتقاته ؟!

فحملقت في وجهه مدهوشة ، ثم قالت :

ــ انك رجل عجيب . لم يخطر ببالي ابدا ان افكر في مثل هذا الذي تقول .

ثم اردفت قائلة بعد برهة صمت :

ــ والان ماذا تريد مني ؟!

ــ اريد منك فقط ان تعديني بالا تفعلي بنفسك شيئا لمدة اربع وعشرين ساعة فقط .

ــ حسنا . لك هذا .

ــ ولي رجاء اخر . وهو ان تتركي مصراع النافذة التي دخلت منها الليلة مفتوحا من الداخل ، كما حدث الليلة تماما ، وارجو ان تكوني في انتظار شخص ما .

فنظرت اليه بدهشة ، ولكنها أومأت براسها . وهنا نهض ساترويت قائلا :

ــ والان يجب علي ان انصرف . بارك الله فيك يا عزيزتي .

ولما دخل الى الفندق ، كان الليل قد ارخى على العالم استاره ، وهناك ، في شرفة الفندق ، رأى شخصا يجلس في منعزل ، فتقدم اليه وهو يشعر ان مصير شخصين قد غدا بين انامل اصابعه ، وان اقل خطأ في التصرف قد يأتي بنتيجة عكسية .

قال ساترويت بهدوء :

ــ جو لطيف الليلة . لقد نسيت نفسي وانا جالس في ذلك المرتفع .

فقال الرجل الذي لم يكن غير انتوني كوزدين :

ــ هل كنت فوق المرتفع كل هذا الوقت ؟!

فأومأ براسه ، وفجاة قال انتوني ، وهو يزم شفتيـــه في تصميم رهيب :

ــ لسوف اتمشى بعد العشاء على الشاطىء . اتفهم ؟ ان المرة الثالثة ستكون الاخيرة ــ واني لارجوك ، بحق السماء الا تتدخل ، فأنـا اعرف انك تبغي الخير . ولكنني اؤكد لك ان تدخلك لن يجدي .

فنهض ساترويت وشد قامته ، وقال :

ــ انني لا اتدخل في حياة الغير ابدا . ولكن .. ولكـن الاحـداث احيانا ، او الفضـول احيانا ، يرغم الانسان على تصرفـات لم تكن تخطر بباله . فمثلا حدث الليلة ...

ثم جلس وصمت ، فقال انتوني :

ــ ماذا حدث الليلة ؟

ــ بينما انا في طريق العودة ، نظرت للمرة الالف الى ذلـك القصر الصغير فوق الربوة ، وللمرة الالف تساءلت عما قد يكون مقيما فيه ؟ ثم دفعني الفضول الى تصرف خاطىء ، واذا انا احاول فتـح مصراع خشبي للنافذة الارضية .

ــ هل فعلت هذا حقا ؟ لا شك انك وجدته مغلقا ؟

ــ لا . وجدته مفتوحا . انه مصراع النافذة الثالثة عنـد الطـرف الايسر من القصر .

فهتف انتوني كوزدين قائلا :

ــ عجبا .. عجبا .. انها النافذة التي ...

وتوقف فجاة ، ولكن ساترويت لمح البريق الذي تألق في عينيه في تلك اللحظة .

وعندئذ نهض ، وغادر الشرفة ، مطمئنا .



وفي العاشرة من صباح اليوم التالي ، صعد الى حديقة القصر حيث استقبله البستاني العجوز مانويل بوردة عاطرة ثبتها في عروة سترته ، وفي وسط الحديقة ، وقف ساترويت ينظر الى القصر الصغـير الجـاثم فوق الربوة في سكون وهدوء وسلام . وفجاة فتح باب جانبي من القصر ، وخرجت منه السيدة التي رآها امس ، وشرب معها الشاي .

كانت تتجه اليه بخطوات خفيفة رشيقة كأنها تسير على الهواء ، او كأنها انسان يعيش في نشوة حالمة ، وقد شرب كأس السعادة المترعـــة ، فاذا هو يتمايل من فرط النشوة والابتهاج . او كأنهـــا زهرة أضناهـــا الجفاف ، فأسعدها فجأة الظل والندى ، فاذا هى انضر وابهى ما تكون .

واقبلت عليه كأنها البهجة مجسمة ، ووضعـت يديهـا على كتفيـه ، وقبلته في حب واعتراف بالجميل ، واحس بقبلاتها كأنهـا لمسات الورد الناضر ، والزهر النـاعم العاطر والنسيم العذب في يوم حـار . وقالت له بصوت متهدج :

ــ لشد ما انا سعيدة . لشد ما انا سعيدة يا عزيزي . كيف عرفت؟ كيف امكنك ان تعرف انه هو ؟ يخيل لي انك ساحر عجيب .

ولهثت انفاسها من فرط السعادة ، وهي تردف قائلة :

ــ لسوف نذهب اليوم الى القنصل لنعقد الزواج . وعندمـا يأتى ابننا جون سيجد اباه في انتظاره . ولسوف نقول له اننا افترقنا قبـــل مولده ، واخيرا جمعت الاقدار بيننا وتم الصلح . ولن يسأل كثـيرا عن اسباب الخصم حتى لا يحرجنـا . آه . ما اشـــد سعادتي ، ما اشـــد سعادتي !

وكانت السعادة حقا تشع منها ، وتنتشر حولها كأنهـــا العطر العذب المنساب من اجمل الورود واعطرها . وعادت تقول :

ــ لشد ما كانت بهجة انتوني عندما عرف ان له ولدا . لم يخطـر ببالي انه سيهتم بالامر كل هذا الاهتمام . من كان يصدق ان الحياة كانت تدخر لنا كل هذه السعادة في النهاية ؟!

وقال لها بلطف :

ــ لسوف تسدين اليه اعظم خدمة اذا انت ملأت حياته بالسعادة في هذه الاشهر القليلة التالية .

فبرقت عيناها بالدهشة ، ثم قالت في صوت كله التصميم :

ــ اوه ! أتعتقد انني سأتركه يموت بعد ان انتظرته كل هذه السنين؟ لا لا ، هذا هو المحال . ان مئات من الاطباء يخطئون في كل انحاء العالم ، وفي كل يوم ، وان مئات من الاطباء يفقدون الامل في حياة مئات المرضى كل يوم ، ولكن الاقدار تسخر منهم ، ويموت الطبيب ، ويعيش المريض .

ونظر اليها . . وتأمل وجهها الجميل المفعم بالحيوية ، وقوة الارادة ، والتصميم ، وحب الحياة . وأومأ اخيرا برأسه . نعم ، انـه هـو ايضا

يعرف اطباء أخطأوا التشخيص ، وفقدوا الامل ، ولكن المريـــض عاش ، واسترد صحته .

وعادت تقول :

ـ اتعتقد اني سأتركه يموت ؟

ـ لا . بل اعتقد ان حبك سيمد في اجله ، ويطيل في عمره .

واخيرا عاد في طريقه الى المرتفع الصخري بـين اشجار السرو ، وهناك ، على مقعده الاثير ، وجد شخصا كان يتوقع ان يلتقي به . انـــه المستر كوين الذي نهض باسما في حزن ، وقال وهو يحييه :

ـ هل كنت تتوقع رؤيتي ؟

ـ نعم .

وجلسا معا ، وقال المستر كوين :

ـ يبدو من ملامح وجهك انك ـ مرة اخرى ـ لعبـت دور العناية الالهية في حياة اثنين من المحبين .

ـ انك تقول هذا وكأنك لا تعرف شيئا مما حدث .

ـ الواقع انني جئت هنا لأؤدى مهمة خاصة .

ـ لمن ؟!

ـ لرجل مات . فأنا ، كما تعرف ، احد المدافعين عن الموتى .

ـ انني لا افهم .

فاشار المستر كوين الى مياه البحر الثائرة ، وقال :

ـ لقد غرق رجل هنا منذ اثنين وعشرين عاما .

ـ انا اعرف هذا ، ولكنني لا افهم ...

ـ لنفرض ، رغم كل شيء ، ان ذلك الرجل كان يحب زوجته الى حد الجنون . ومن الممكن ان يحيل الحب الجنوني الرجل الى ملاك ، او الى شيطان . لقد احبته الزوجة الشابة حب العذراء ، ولكنه لم يستطع هو ان يوقظ انوثتها او يرضيها ، وهذا العجز جعله يشعر بالغضب على نفسه وعلى الناس جميعا ، وعلبها هي ايضا ، فراح ، كالمعتـــاد في هـــذه الحالات ، يتلذذ بتعذيبها ، لانه يحبها . وهـــذا ما يحـــدث عادة ، وانـــت تعرفه كما اعرفه انا .

ـ نعم . نعم . انا اعرف احداثا كهذه ، ولكنها نادرة جدا .

ـ وانت تعرف ايضا ان الانسان ، في كثير من الاحيان ، يندم على ما فعل ، ويشعر بالرغبة في تعويض الحبيبة عمـــا فعله بهـــا من شر ،

بأي ثمن .

ـ ولكنه مات قبل ...

ـ مات ؟ ما معنى قولك انه مات ؟! كل ما في الامر انه انتقل من حياتنا هذه الى حياة اخرى ، ولاشك انك تؤمن بتلك الحياة الاخرى بعد الموت . ومن يدريك ان الروح في هذه الحياة الاخرى لا يكون لها نفس المشاعر والرغبات والامال ؟ فاذا كانت الرغبة قوية بما فيه الكفاية ، فان في مقدورها ان تجد وسيلة لتحقيقها عن طريق شخص اخر لم يمت بعد .

وساد الصمت برهة طويلة ، ثم قال ساترويت وهو ينهض :

ـ انني ذاهب الى الفندق ، فهل ستذهب معي ؟

ـ لا .. انني عائد الى المكان الذي جئت منه .

ولما التفت ساترويت وراءه ، شاهد المستر كوين وهو يسير مبتعدا على حافة المرتفع الصخري .

الفصل الخامس

صوت في الظلام

قالت الليدي سترانلي للمستر ساترويت :

ـ انني اشعر بالقلق على مارجري ، ابنتي كما تعرف ، وان الانسان ليشعر بهذه الشيخوخة البغيضة اذا كانت له ابنة شابة في مثل سن مارجري .

فقال ساترويت مجاملا :

ـ ان من يراك لا يصدق ان لك ابنة شابة !

ـ اوه ! مجرد مجاملة .

ونظر ساترويت الى الليدي في اعجاب ودهشة ، فقد كانت تبدو ، رغم تجاوزها الخمسين من العمر ، في سن الصبا والشباب ، ولا شك ان صالونات التجميل في كل انحاء اوروبا ظفرت منها بأموال طائلة .

وكانا جالسين تحت مظلة على شاطىء البحر بمصيف « كان » .

وعادت الليدي تقول وهي تضع ساقا على ساق ، وتشعل سيجارتها بقداحة ذهبية مرصعة :

ـ نعم . انني اشعر بالقلق على ابنتي مارجري .

ـ لماذا ؟ ماذا حدث ؟

ـ انك لم ترها ؟ اليس كذلك ؟ انهـا ابنتي من زوجي السابق تشارلس .

وكان ساترويت يعرف ان الليدي سترانلي تتخذ من الزواج هواية ونوعا من اللهو تزجي به وقت فراغها . وقد تزوجت اربعة رجال ، مات احدهم وطلقت الباقين .

وبعد برهة من الصمت ، تنهدت الليدي ، وقالت :

ـ ان مارجري اصبحت ترى وتسمع اشياء غامضة .. اشباحا او شيئا من هذا القبيل . انها فتاة عاقلة متزنة لا تتردد على الحفلات ، ولا تهفو الى السهرات الصاخبة ، او بمعنى اصح، فتاة من الطراز القديم تحب فقط ركوب الخيل والصيد ، والبقاء في قصرنا بانجلترا .

وارسلت انفاسا من سيجارتها في الهواء ، ثم عادت تقول :

ـ انني اشعر بالقلق عليها ، لان سماع الاصوات الغامضة علامة خطيرة على قرب الاصابة بالجنون . والواقع ان قصرنا « أبوت ميد » كان مسكونا بأحد الاشباح ، ولكنه هدم تماما في عام ١٨٣٦ ، واعيد بناؤه على الطراز الفيكتوري القديم ، واعتقد انه لا يمكن ان يكون مقر لاي شبح ، لانه عادي البناء قبيح الشكل .

وابتسمت الليدي ، وقالت فجأة :

ـ خطر لي انك ربما استطعت ان تساعدنا .

ـ انـا ؟!

ـ نعم . انك عائد غدا الى انجلترا ؟ اليس كذلك ؟!

ـ نعم .. نعم .

ـ وانت تعرف الشيء الكثير عن هؤلاء المهتمين بتحضير الارواح وما الى هذا . لا شك في هذا ، فانت تعرف معظم الناس في كل مكان .

وحاول ساترويت ان يقول شيئا ، ولكنها قاطعته بقولها :

ـ حسنا . اتفقنا . انك رجل ممتاز يا مستر ساترويت . آه . هذا هو بيمبو .

ورأى ساترويت شابا في نحو الثلاثين من عمره ، يحمـل مضرب

التنس ويتقدم نحو الليدي ستراتلي باسما ، وكانت هي تبتسم له في اغراء واعجاب وتقول :

ـ انه مدربي في رياضة التنس ، وهو شاب رقيق لطيف يعرف كيف يختار اجمل الالفاظ في حديثه . هاللو بيمبو .

وانطلقت الليدي الى الشاب ، تاركة المستر ساترويت يقول لنفسه :

« ترى ، هل سيكون بيمبو هذا هو الزوج الخامس ؟ »



وفوجىء المستر ساترويت ، وهو في القطار برؤية المستر كوين جالسا في نفس المقصورة فأشرق وجهه ابتهاجا ، وقال :

ـ ما اعجب والطف هذه المصادفة يا عزيزي المستر كوين ؟!

ـ نعم يا مستر ساترويت ، انها مصادفة لطيفة حقا .

ـ انك عائد الى انجلترا على ما اعتقد ؟

ـ نعم .. في مهمة خاصة .

فقال ساترويت في شيء من الزهو :

ـ وانا ايضا عائد في مهمة خاصة . لعلك تعرف الليدي ستراتللي ؟

فلما هز المستر كوين راسه ، استطرد ساترويت قائلا :

ـ انها تحمل لقبا قديما ـ قديما جدا ـ من الالقاب التي يتوارثها افراد الاسرة جيلا بعد جيل ، الاكبر فالاكبر من افرادها . وهي تحمل لقب بارونة بالوراثة المطلقة .

وتراخى المستر كوين في مقعده وهو يمسك كأس شرابه ويتأمله ، ثم قال :

ـ يبدو انك ستخبرني بتاريخ اسرة عريقة يا مستر ساترويت . ولا شك انه تاريخ طريف مثير . أليس كذلك ؟

واشرق وجه المستر ساترويت بالرضا ، وهو يقول :

ـ نعم .. نعم .. انها ، هذه الليدي ستراتلي ، امرأة مدهشة ، في الستين من عمرها ، ومع ذلك فلو رايتها لما حسبتها تجاوزت الاربعين . جميلة ، ناعمة البشرة ، متألقة العينين . وكنت اعرفها ، هي واختها الاكبر منها بياتريس ، منذ كانتا في سن الصبا : بياتريس ، وبربارا . كانتا شابتين جميلتين ، فقيرتين في ذلك الحين . ولكن هذا كان منذ

عهد بعيد ، نعم ، فقد كنت انا ايضا في ذلك العهد شابا وسيما موفور الحيوية والصبا . وكان بينهما وبين اللقب والثروة اشخاص كثيرون من افراد الاسرة . وكان حاملَ اللقب ، والحائز على الاملاك كلها اللورد سترانلي ابن عم ابيها . وشاء القدر أن يموت اخواه وابن عم له . ثم حدثت كارثة الباخرة يوراليا ، هل تذكر مأساة غرقها ؟! لقد هوت الى قاع البحر بالقرب من شاطىء نيوزيلاند . وكانت الفتاتان من بين ركابها . وقد غرقت الاخت الكبرى بياتريس ، ونجت بربارا ، الاخت الصغرى ، وبعد ستة اشهر من الكارثة ، مات اللورد سترانلي العجوز ، فورثت بربارا اللقب والثروة الضخمة ، وراحت ـ منذ ذلك الحين ـ تعيش من اجل شيء واحد فقط : نفسها ! لقد ظلت دائما الفتاة التى تعرف كيف تمتع نفسها بكل أطايب الحياة ، وكيف تفكر فقط في مباهجها وسعادتها وكل ما يخصها دون الاخرين . وتزوجت اربع مرات ، واعتقد انها في الطريق للزواج من الخامس الان .

وبعد ان ذكر للمستر كوين تفاصيل المهمة التي يسافر من اجلها الى انجلترا ، استطرد قائلا :

ـ وسأمضي فورا الى قصر « ابوت ميد » لأزور الابنة الشابة مارجري ، فأنا اشعر انه ينبغي مساعدة هذه الابنة في محنتها . ما رأيك ؟ اتأتي معي ؟

ـ أعتقد انني لن أستطيع ، ولكن ، اليس قصر « ابوت ميد » يقع في اقليم ويلشير ؟

ـ نعم .

ـ حسنا . لسوف اكون مقيما في خان صغير بالقرب من مزارع القصر ، يدعى خان « بيلز آند موتلي » ولا شك انك تعرفه ، لاننا التقينا فيه ذات مرة .

ـ هل سأجدك فيه اذا أردت مقابلتك ؟

ـ نعم .. ساقضي فيه اسبوعا او عشرة ايام ، وسوف تجدني في انتظارك هناك .

وقال المستر ساترويت في صوت كله رفق وتلطف :

ـ تأكدي يا عزيزتي مارجري انني اخر من يضحك من مخاوفك .

وكان جالسا مع مارجري جيل في البهو الكبير المريح بقصر « ابوت ميد » وكانت هي فتاة طويلة القامة ، ملفوفة الجسم ، سوداء الشعر ،

اقرب ما تكون شبها بأبيها الذي كان عمدة بلدة ، مشهورا بالقوة والحزم والتصميم . وكانت نبدو في نضارتها وصباها واتزان تفكيرها انموذجا للعقل والحكمة . ومع هذا فقد تذكر المستر ساترويت ان افرادا في اسرتها كانوا يعانون من اضطرابات عقلية . فلعل مارجري قد ورثت عن ابيها قوة الجسم ونضارته ، وعن امها بعض الاضطرابات العقلية .

وقالت مارجري :

ــ اتمنى لو عرفت كيف اتخلص من تلك المراة كاسون ، فانا لا أؤمن بتحضير الارواح ولا احب هذه العملية اطلاقا . ولكنها امراة عنيدة متعصبة لآرائها ، وهي مصرة على استحضار وسيطة روحية للتخلص من تلك الاصوات الخفية .

فتململ المستر ساترويت في مجلسه برهة ، ثم قال وهو يتنحنح :

ــ ارجو اولا ان الم بكل الحقائق الاساسية . ولقد بدات تسمعين هذه الاصوات الخفية منذ شهرين ؟ اليس كذلك ؟!

ــ نحو ذلك ! واحيانا كنت اسمعها خافتة هامسة ، واحيانا واضحة قوية ، ولكن الكلمات كانت هي هي دائما .

ــ ماذا كنت تسمعين ؟!

ــ « اعيدي ما ليس لك .. اعيدي ما سرقت » ! وفي كل مرة كنت اضيء الغرفة فلا اجد احدا . واخيرا اضطربت اعصابي ، وجعلت كلايتون ــ وصيفة امي ــ تنام على اريكة معي في نفس الغرفة .

ــ ومع ذلك كنت تسمعين الصوت كالمعتاد؟

ــ نعم .. وهذا ما يفزعني ، لان كلايتون لم تكن تسمع هذا الصوت . ولهذا السبب نصحتني بعرض نفسي على طبيب ، ولكنها ، بعد الذي حدث في الليلة الماضية بدات تلتمس لى العذر .

ــ وماذا حدث في الليلة الماضية ؟

ــ كنت سأخبرك به ، رغم اني لم اخبر احدا قط . كنت طيلة يوم امس امارس رياضة الصيد ، ومن ثم استغرقت في نوم عميق من فرط التعب والاجهاد . ورايت في المنام حلما رهيبا ، رايت انني اسقط على سياج حديدي مدبب ، وان احد قضبانه المدببة دخل في عنقي ، وان ذلك الصوت الخفى يقول لى « اعيدى ما سرقته مني ، والا فالموت لك » . وصرخت في فزع ، وضربت الهواء بيدي ، ولكنني لم اجد شيئا . واستيقظت كلايتون على صرختي ، وكانت نائمة في الغرفة المجاورة

مباشرة ، فأسرعت الي ، وشعرت بوضوح بشيء ما يلامسها وهو يخرج من الغرفة ، ولكنها تؤكد ان هذا الشيء أيا كان ، فلن يكون مخلوقـــا آدميـــا .

وحملق المستر ساترويت في وجه مارجري وامارات الدهشة باديــة على وجهه ، ثم تحولت نظراته الى ضمادة صغيرة تخفي جرحها في عنقها ، فأومأت براسها وقالت :

ـ نعم .. هذا هو اثر ذلك السن المدبب الذي شعرت به اثناء الحلم، ومعنى هذا ان الامر ليس مجرد اوهام فقط .

ـ هل هناك احد يكرهك او يحقد عليك ؟

ـ لا طبعا ! لماذا ؟

ـ لا شيء ، مجرد سؤال . هل كان لديك ضيوف يقيمون معــك في القصر خلال الشهرين الماضيين ؟

ـ ان مارسياكين ، وهي من أعز صديقاتي ، ومن هاويـات ركـوب الخيل مثلي ، هي فقط التي اقامت ، ولا تزال تقيم معي هنا منذ اكثر من شهرين ، وهناك ابن عمي رولي فافوزوار الذي يقضي معنا اياما كاملة بين الحين والاخر . هذا عدا ضيوف نهاية الاسبوع كالمعتاد .

واوما ساترويت براسه ، ثم اقتــرح ان يرى الوصيفــة كلايتون ، وهو يقول :

ـ اعتقد انها كانت معك منذ امد بعيد ؟

ـ نعم .. فقد كانت وصيفة لأمي ولخالتي بياتريس عندما كانتـــا شابتين . وهذا على ما اعتقد ، ما جعل امي تحتفظ بهـــا ، رغـم انهـــا تستخدم لنفسها وصيفة فرنسية خاصة . وان كلايتون تقوم الان بأعمال الخياطة ، وبعض الاعمال الخفيــفة في القصر .

ونهضت مارجري ومضت مع المستر ساترويت الى الطابق الاعلى من القصر ، ولم تلبث الوصيفة كلايتون ان اقبلت ، فرآهـــا ساترويت سيدة عجوزا ، طويلة القامة ، ونحيلة الجسم ، تفرق شعرهـــا الاشيـــب مـــن الوسط بعناية ، وتبدو نموذجـــا للوقار والثبات . وقد قالت مجيبة على اسئلة ساترويت :

ـ لا يا سيدي ، انني لم اسمع ابدا ان هذا القصر « مسكون » بشبح. والواقع انني ظننت المس مارجري واهمة تماما حتى رايت مـــا حـــدث بالامس . فقد احسست فعلا بشيء يلمسني ، وهو يسرع في الظـلام ،

شيء لا يمت الى البشر ابدا . ثم هنـاك ايضـا ذلك الجـرح في عنقها . فليس من المعقول ان تكون قد فعلت هذا بنفسـها !

ولكن هذه الكلمات الاخيرة جعلت المستر ساترويت يتساءل : « هل يمكن ان تكون مارجري قد جرحت نفسها حقا حتى تثبت للجميع انهـا ليست واهمة » ؟! لقد سمع عن حالات كثيرة كانت فيها كل فتاة تبـدو عاقلة متزنة مثل مارجري ، ومع ذلك ترتكب مثل هذه الحماقات .

وقالت كلايتون :

ــ انه جرح بسيط سوف يلتئم سريعا ، وليس مثل هذا الجرح . .

واشارت الى اثر جرح في جبينها ، واردفت قائلة :

ــ لقد اصبت بهذا الجرح منذ اربعين عاما ، ولا زال اثره باقيا .

وقالت مارجري :

ــ اصيبت عندما غرقت الباخرة يوراليا ، وذلك عندمـا سقط على راسها قضيب حديدى . اليس كذلك يا كلايتون ؟

ــ نعم يا آنستي .

وقال ساترويت :

ــ وما رايك الخاص في هذا الموضوع يا كلايتون ؟ اعني موضوع المس مارجري جيل ؟

ــ انني في الواقع افضل الا اقول شيئا .

ــ لماذا ؟!

ــ لاني اعتقد ان ظلما كبيرا حدث في هذا القصر ، وحتى يرتفع هذا الظلم ويعود الحق الى اصحابه ، فلن يكون هناك راحة او سلام .

وكانت وهي تقول هذا تنظر الى وجه ساترويت ــ في ثبات ــ بعينيها الزرقاوين الباهتين .

وهبط الى الطابق الارضي ، وهو غير مقتنع براي كلايتـون في ان « ظلما كبيرا وقع في هذا القصر » . وخطر له ان هذه الظاهرة الخفية لم تحدث الا منذ شهرين ، اي منذ اقامة مارسياكين ، صديقة مارجري ، في القصر ، ومنذ ان اخذ ابن العم رولي فافوزوار يتردد كثيرا للاقامـة فيه . ومن ثم قرر ان يعرف الشيء الكثير عن هذين الشخصين . ولعل الامر كله لا يعدو ان يكون دعابة من النوع الثقيل .

ووجد مارجري تفتح الخطابات الواردة اليها في ذلك اليوم ، فلمـا راته ، قالت له في دهشة :

ــ ان امي غريبة الاطوار في رسالتها هذه .. اقراها !

وقرا في الرسالة ما يلي :

« حبيبتي مارجري : سرني ان المستر ساترويت ينزل ضيفا عليك . فهو يعرف الكثيرين من المشتغلين بالمباحث الجنائية ، ويمكنه الالتجاء اليهم ليكشفوا عن سر هذه الاصوات الخفية التي تسمعينها . واتمنى لو اني بجانبك ، ولكنني أشعر في هذه الايام الاخيرة بتوعك مستمر في صحتي ، ويبدو ان الفندق قد اصبح يهمل كثيرا في اعداد الطعام ، فان الطبيب يقول : انني اعاني من تسمم بطيء . والواقع اني كنت منذ ثلاثة ايام مريضة جدا . اشكرك على هدية الشيكولاتة التي ارسلتها الي . وعلى الجملة انني الان بخير ، ويقول بيمبو انني اتقدم كثيرا في رياضة التنس .. تحياتي اليك .... » .

وهنا سأل ساترويت فجأة :

ــ هل ارسلت اليها حقا هدية من الشيكولاته ؟

ــ لا . وهذا ما يثير دهشتي من خطابها . لا شك ان شخصا ما ارسل اليها هذه الهدية .

واومأ ساترويت براسه وهو يربط في ذهنه بين الشيكولاته المرسلة من شخص مجهول ، وبين التسمم البطيء الذي عانت منه الليدي سترانلي ، وظنت ان طعام الفندق هو السبب .

وهنا اقبلت فتاة طويلة خمرية اللون من غرفة الجلوس وانضمت اليهما ، وعرف ساترويت حين قدمتها مارجري اليه ، انها الصديقة مارسياكين . وقد نظرت اليه في شيء من الدعابة والتهكم ، وقالت بصوت ممطوط :

ــ هل جئت للايقاع بشبح مارجري الاليف ؟ اننا جميعا مهتمون بأمر هذا الشبح . آه . ها هو ذا رولي .

وتوقفت امام القصر سيارة هبط منها شاب طويل ذهبي الشعر ، كثير الحركات . وهتف بمارجري قائلا :

ــ هاللو مارجري ! هاللو مارسيا ! لقد جئت اليكما بالمدد لمقاومة الشبح .

ثم استدار الى امراتين كانتا تدخلان معه القاعة ، واردف قائلا :

ــ وارجو ان تنجحا في هذه المقاومة الليلة .

وعرف ساترويت ان احداهما هي المسز كاسون التي حدثته مارجري

عنها منذ لحظات . وقد قالت هذه السيدة ، وهي تبتسم :

ـ اغفري لي يا مس مارجري ، فقد اصر المستر فافوزوار ان نجرب استخدام الارواح لطرد هذا الشبح . ولهـذا جئت معي بالمسز لويـد ، الوسيطة الروحية .

وانحنت المسز لويد تحية للجميع ، وكانت شابة من النـوع العادي نكثر من وضع المساحيق على وجهها ، وكانت تتزين بقلادة من احجـار القمر ، وعدد من الخواتم .

ولاح على المس مارجري بوضوح انها لم تبتهـج لحضـور المسز لويد هذه ، وانما القت نظرة غاضبة على رولي فافوزوار الذي لم يبد انه شعر بارتكاب اى خطأ . واخيرا قالت :

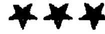
ـ ان طعام الغداء معد . هلم اليه .

ولم تتناول الوسيطة الروحية غير الفاكهة اثناء وجبة الغداء . وقبيل الفراغ من نناول الطعام ، القت براسها الى مسند المقعد وقالت وهـي تتشمم الجو :

ـ اشعر ان في هذا القصر شيئا ليس كما ينبغي !

وتمتمت المسز كاسون في ابتهاج :

ـ اليس هذا رائعا يا عزيزتي مارجري ؟



وعقدت جلسة تحضير الارواح في غرفة المكتبة ، وبعد اتخـاذ الترتيبات الدقيقة لعقد الجلسة ، اعلنت الوسيطة الروحية انها مستعدة للبدء ، ثم قالت :

ـ اننا هنا ستة اشخاص . يحسن ان تكون سبعة .

واقترح رولي احضار احد الخدم ، ولكن مارجري طلبـت استدعاء الوصيفة كلايتون ، وهنـا لاحظ ساترويت امارات الاستيـاء على وجـه الشاب الذي قال :

ـ ولكن لماذا كلايتون بالذات ؟

فقالت مارجري ببطء :

ـ انك لا تحب كلايتون .

ـ الواقع انها هي التي لا تحبني ، وعلى كل حال ، انني لا اعارض في

حضورها .

وتم عقد الجلسة ، واسدلت الستائر الكثيفة ، وبعد فترة من الصمت ، سمع الجميع نقرات متتابعة ، واذا بروح هندي احمر تتحدث عن طريق الوسيطة :

ــ المحارب الهندي يحييكم ايها السادة والسيدات . هنا بجانبي روح تريد ان تتحدث في لهفة . تريد ان تبلغ رسالة الى المس مارجري .

وبعد برهة من الصمت ، سمع الجميع صوتا نسائيا ناعما يقول :

ــ هل مارجري موجودة ؟!

فقال رولي فافوزوار :

ــ نعم .. من التي تتحدث ؟

ــ انها خالتها بياتريس .

وهنا بدا الاهتمام الشديد على وجه المستر ساترويت وهو يصيخ السمع . وعاد الصوت النسائي الخافت الناعم يقول :

ــ انا بياتريس التي غرقت مع الباخرة يوراليا . ولدي رسالة يجب ان ابلغها لابنة اخي ، المس مارجري ، « اعيدي ما ليس لك لاصحابه » .

وقالت مارجري في تخاذل واستسلام :

ــ انني لا افهم شيئا . هل انت حقا خالتي بياتريس ؟

واسرعت المسز كاسون تقول محذرة :

ــ طبعا هي . لا ينبغي ان ترتابي في شخصية الارواح ، فانهم لا يحبون هذا .

وفجاة ومضت بذهن المستر ساترويت فكرة بسيطة جعلته يقول :

ــ هل تذكرين المستر يوتاكيتي ؟!

وسرعان ما سمع ضحكة خفيفة ، اعقبتها هذه الكلمات :

ــ اه . المسكين بوتاسيتي .

وذهل المستر ساترويت . فان معنى كلمة بوتاسيتي «شقلب مركب». وكان هو وبربارا وبياتريس يقيمون في نفس المصيف ، برايتون ، منذ اربعين عاما ، وقد حدث ان صديقا ايطاليا شابا خرج الى البحر في زورق صغير انقلب به . وقد اطلق عليه الجميع بعد ذلك بوتاسيتي « شقلب مركب » . ولم يكن في الغرفة احد يعرف هذه الحادثة التي مضى عليها اربعون عاما . ومعنى هذا ان الروح نجحت في هذا الاختبار .

وتململت الوسيطة في مجلسها ، وغمغمت بكلمات غامضة . وهنـــا قالت المسز كاسون :

ـ هذا يكفي الان .. ان الوسيطة الروحية توشك ان تفيق .

وسرعان ما انسكب ضوء النهار مرة اخرى في قاعة المكتبة حيث كان الجميع جالسين ، وحيث ظهر بوضوح ان اثنين منهم شعـرا بالخـوف الشديد .

ورأى المستر ساترويت على وجه مارجري الشاحب امارات القلـق والاضطراب ، فلما انفرد بها في غرفة خاصة ، قال لها :

ـ اريد ان الفي عليك سؤالا او اثنين يا مس مارجري . اذا توفيت انت ووالدتك : فمن الذي سيرث اللقب ، والاملاك كلها ؟

ـ رولي فافوزوار ، لانه ابن عم امي مباشرة .

واومأ ساترويت براسه ، ثم قال :

ـ انه يتردد عليك كثيرا هذا الشتاء . فهل هو .. يحبك ؟

ـ لقد عرض علي الزواج منذ ثلاثة اسابيع ، ولكنني رفضته .

ـ ارجو ان تغفري لي فضولي اذا قلت : هل تحبين احدا آخر ؟

فاضطرم وجهها خجلا ، ثم قالت :

ـ لسوف اتزوج نويل بارتون الكاتب . ان امي تعارضني في هذا ، ولكن ما عيب نويل بارتون ؟ انه شاب رزين ، رياضي ، لا مثيـل له في ركوب الخيل .

وفي تلك اللحظة ، اقبل احد الخدم يحمل صحفة فضية عليها برقية. فلما فضتها هتفت قائلة :

ـ « عجبا ! ان امي سوف تصل غدا » .

وهنا قال المستر ساترويت :

ـ في هذه الحالة لم يعد لبقائي اية فائدة . لسوف اعـود اليوم الى لنـــدن .



واحس المستر ساترويت وهو في طريقه الى لندن ، ان عبئـا ثقيـلا رفع عن كاهلـه ، ذلك ان عودة الليدي ستراتلي قد اعفته من مسؤوليته تجاه الابنة مارجري . ولكنه ، في قرارة نفسه ، كان يدرك ان شيئا مــا

سوف يحدث في قصر « ابوت ميد » .

وقد حدث ما كان يخشاه . ففي ذات صباح فوجىء بخبر منشور في صحيفة الديلي ميجافون مؤداه ان الليدي سترانلي وجدت ميتة في « البانيو » بحمامها ، وان الفحص الطبي اثبت ان وفاتها نشأت من اسفكسيا الغرق ، وان المرجح انه اغمي عليها اثناء الاستحمام ، ثم انزلق جسمها في « البانيو » حتى اصبح رأسها تحت سطح الماء ، فغرقت .

ولكن المستر ساترويت لم يقتنع بهذا التعليل ، ومن ثم انطلق بسيارته الرولز في الطريق الى اقليم ويلشير ، ولكنه لم يمض فورا الى قصر « ابوت ميد » وانما عرج على خان « بيلز آند موتلي » حيث وجد المستر كوين مقيما به ، كما وعده .

وبعد ان تصافحا بحرارة ، قال المستر ساترويت في انفعال :

ـ انني محتاج الى معونتك ، فانا اشعر في اعماق نفسي ان مارجري جيل معرضة لخطر شديد بعد وفاة امها . وهي فتاة طيبة ، ومستقيمة ، ويجب درء الخطر عنها .

ـ يحسن ان تخبرني بالموضوع كله .

ولما اخبره ساترويت بالقصة كلها ، قال المستر كوين :

ـ ان عليك انت ان تكشف الغموض الذي يكتنف هذا الموضوع . فانت الذي تعرف المقيمين في هذا القصر .

ـ نعم ! انني اعرف الشقيقتين بياتربس وبربارا منذ اربعين عاما . ولست انسى الايام التى سعدنا فيها معا في مصيف برايتون ، والاسم الذي اطلقناه على ذلك الصديق الايطالي « بوتاسيتي » . بل اذكر وصيفة شابة تدعى « اليس » جميلة ، عذبة ، كانت معهما ، وقد قبلتها ذات مرة في دهليز الفندق ، وكادت احدى الخادمات ان تضبطنا . آه .. ما اجمل ايام الشباب .

وتوقف فجأة ، ثم تنهد قائلا :

ـ كأنك لن تستطيع ان تساعدني ؟

ـ لو كنت في موضعك ، لذهبت الى قصر « ابوت ميد » الان .

ـ انني ذاهب فعلا ، الا تأتي معي ؟

ـ لا . ان لدى مهمة خاصة يجب ان اقوم بها هنا .

وفي « ابوت ميد » جلس مع مارجري في غرفة مكتبتها ، وكانت عندئذ مشغولة بكتابة شيء ، فلما رآته ، ابتهجت ، وقالت :

ـ احسنت بالحضور يا مستر ساترويت . فالواقع انني غير مطمئنة الى ما حدث لأمي ، ان رأيي الخاص هو ان شخصا مـــا ضغـط على راسها تحت سطح الماء حتى غرقت . وان الذي قتلهـا ، سوف يقتلني ايضا ، ولهذا فأنا الان اكتب وصيتي .

تم اشارت الى الورقة المكتوبة امامها واردفت قائلة :

ـ لقد رحل رولي فافوزوار ، ومارسياكين . وان اللقـــب وجـزءا كبيرا من ممتلكاتي ستكون من نصيب رولي بعد وفاتي ، ولكنني أمتلـــك أموالا ضخمة ورثتها عن ابي . وسوف أوصي بهـذه الاموال كلهـا الى حبيبي نويل . وارجو ان تشهـد وصيتي هذه . اما الشاهدة الاولى ، فكانت وصيفتي كلايتون . هذا هو توقيعها .

وامسك ساترويت بالقلم لبوقع ، وفجأة قرأ اسم كلايتون كامـلا « اليس كلايتون » . فتوقف وقد اعترته الدهشة ، فقد عادت به الذاكرة الى الوراء اربعين عاما ، الى مصيف برايتون ، والى الوصيفـة الشابـة الحلوة « اليس » التي قبلها ذات مرة ، والتي كان معجبا اشـد الاعجـاب بعينيها العسليتين .

وفجأة ادرك كل شيء ، واذا هو مستغرق في افكاره حتى تنبه على صوت مارجري وهي تقول :

ـ ماذا بك يا مستر ساترويت ؟

ـ لا شيء .. لا شيء .. ولكنني عرفت الان كل شيء . يجب ان تعدي نفسك للمفاجأة . ان السيدة الموجودة هنا باسم الوصيفة « اليس كلايتون » ، ليست هي كلايتون اطلاقا ، ان كلايتون الحقيقية ماتت غرقـا في حادث الباخرة يورااليا .

ـ اذن من تكون كلايتون الموجودة هنا ؟

ـ انني واثق الان تماما انها .. انها خالتك بياتريس ، الاخت الكبرى لوالدتك . هل تذكرين قولك لي انها اصيبت في الحادثة بوقوع قضيـب حديدي على راسها ؟ أعتقد ان هذه الاصابة قد افقدتها الذاكرة تماما ، وهنا رأت والدتك الفرصة سانحة ، فقررت ان ...

ـ ان تظفر باللقب والثروة . البس هذا ما تعنيه ؟ نعم .. هـــذه طبيعة امي ، رحمها الله ، انه لم يكن يعنيها شيء غير نفسها .

ـ كانت بياتريس هي الاخت الكبرى التي لها حق الوراثة بعد وفاة عمكم الكبير اللورد ستانلي . كانت سترث كل شيء ، بينما لا ترث امك

شيئا . ولهذا زعمت ان الفتاة الجريحة ، الفاقدة الرشد ، هي وصيفتها « أليس كلايتون » وليست اختها . واستردت الفتاة صوابها ، ولكنهـا فقدت ذاكرتها ، ولم تعرف الا انها اليس كلايتون كما قالوا لها . ولكن مع مرور الزمن ، بدات ذاكرتها تعود ، ويبدو ان عودة الذاكرة كانت مصحوبة باضطراب في عقلها .

فحملقت مارجري في فزع ثم قالت :

ـ ولهذا قتلت امي ، ثم ارادت أن تقتلني .

ـ هذا ما يبدو . فان عقلها المضطرب جعلها تلجأ الى هذه التصرفات الغامضة ، والى افزاعك بالاصوات الخفية ، لكي تسترد ممتلكاتها الموروثة منك ومن امك .

ـ ولكن .. ولكن كلايتون تبدو اكبر سنا جدا من امي ، بينما لم يكن الفارق بينهما غير عامين فقط .

وابتسم ساترويت في اشفاق ثم قال :

ـ هذا هو ما يصنعـه المال الكثير ! لقد ابقت الثـروة على جمـال والدتك ، وكست مباهج الحياة وجهها بالنضارة والصبا . اما بياتريس ..! حسنا .. هلم نصعد اليها ..

وهناك في غرفتها الخاصة ، رأياها جالسة بلا حراك في مقعدهـا الوثير وبين يديها اشغال الابره . وكان وجهها جامـدا شاحبا ، لا اثـر للحياة فيه .

ولما فحصها المستر ساترويت ، قال في اشفاق :

ـ ماتت بالسكتة القلبية ، وحسنا فعلت !

الفصل السادس

الطائر المكسور الجناح

كان المستر ساتروبت جالسا في غرفة المكتبـــة الكبيرة بقصر احد اصدقائه في الريف الانجليزي . وكان بعض المدعوين الشبان في القصر يعقدون ، على سبيل التسلية ، جلسة للتنويم المغناطيسي ، وكان احدهم منوما يجيب على الاسئلة ، ويبلغ الرسائل الروحية الى اصحابها ، وكان المستر ساترويت يرقب ما يجري في غير اهتمام شديد ، اذ كان يفكر في العودة الى لندن لقضاء فصل الشتاء ، ولذلك اعتذر عن قبول دعوة مادج كيلي حين اتصلت به تليفونيا منذ ساعة ، وطلبـــت منه ان ينضم الى مدعويها في قصر والدها ببلدة لايدل .

وفجأة تنبـــه من أفكاره على صوت الوسيط المنـــوم يقول :

ــ هذه رسالـــة الى المستر ساترويـــت . هل المستـــر ساترويـــت موجود ؟

ــ نعم .

ــ المستر كوين . نعم المستر كوين يريد منه ان يذهب الى لايدل . . الى مادج كيلي . انتهت الرسالة .

ونهض ساترويت مدهوشا مذهولا ، وانصرف من الغرفة ، ومضى فورا الى التليفون حيث اتصل بمادج كيلي ، فلما سمع صوتها قال :

ــ اسمعي يا عزيزتي مادج . لقد غيرت رايي وقررت ان اقبل دعوتك الرقيقة . نعم . نعم . سوف اكون عندك في وقت العشاء .

واعاد المسماع الى مكانه وهو مضطرم الوجه بالاثارة والانفعال . ان كوين ــ هذا الرجل الخفي العجيب هارلي كوين ــ قد اختار هـــذه المـرة الوسيط المغناطيسي ليبلغه هذه الرسالة . وما دام الامر كذلك ، فلا بـد أن أحداثا خطيرة سوف تقع ، او توشك ان تقع ، في قصر مـــادج كيلي ببلدة لايدل .

وادرك انه ايا كانت هذه الاحداث ، فلا شك ان له دورا ايجابيا فيها، والا لما طلـب منه ، هـذا الشبح الآدمي الخفي ، ان يقبـــل الدعوة ، ويذهب فورا .

وكان قصر « لايدل » كبيرا رحيب القاعات والابهاء ، يمتلكـــه المستر دافيد كيلي ، وهو احد الرجال الهادئين ذوي الشخصيـــة الضعيفة ، وهو لا يعدو ان يكون جزءا من اثاثات البيت . ولكن شخصيتـــه الضعيفة لا علاقة لها بعقله القوي . فقد وضع كتابا في الرياضيات العليا لا يستطيــع ان يفهمه تسعون في المائة من القراء . الا انـــه ــ على عكس الرجـــال النوابــغ ــ لا يدع عقله القوي يشع حوله بالنور والجاذبية . ولهذا كثيرا ما كان اهالي المنطقة يتندرون عليه بقولهم انه « الرجل الخفي » . فالخدم يتجاوزونه وهم يحملون الطعام الى الضيوف ، والضيـــوف ينسون ان يلقوا عليه التحية عند وصولهم .

ولكن ابنته مادج كانت تختلف عنه كثيرا ، فهي شابـة في نحـــو الثلاثين من عمرها ، طويلة القامة ، رائعة المظهر ، موفورة الحيويـــة والنشاط ، سليمة الجسم ، جميلة الى حد كبير .

وكانت هي التي استقبلت المستر ساترويت عند وصوله بقولها :

ــ لشد ما سرني حضورك ، بعد ان اعتذرت اول مرة !

ــ أوه ، مادج ، يا عزيزتي ، انك تبدين في حالة طيبة .

ــ نعم . نعم . انني دائما في احسن حال .

ـ اعرف هذا . ولكنني ارى ان هناك ما يجعل وجهك يشع بالسعادة والابتهاج ، فهل حدث شيء يا عزيزتي ؟ اعني شيئا خاصا ؟

فاضطرم وجهها خجلا وضحكت قائلة :

ـ دائما تصدق في استنتاجاتك يا مستر ساترويت !

ثم اخذت يده بين يديها واردفت قائلة :

ـ نعم يا مستر ساترويت ، يا عزيزي ، لقد حدث شيء هام ، ووصل فارس الاحلام .

فضحك ساترويت وقال :

ـ اذن يجب ان اسألك من يكون هذا الفارس السعيد . كل ما أرجوه ان يكون جديرا بالشرف الذي تسبغينه عليه .

ـ اوه ، تأكد اننا سنسعد معا ، فاننا نحب نفس الاشياء ، وهذا امر مهم جدا ، وآراؤنا متفقة في جوانب كثيرة . وكل منا يعرف الكثير عن الاخر ، والواقع ان هذا « الحدث » كان يختمر بيننا منذ امد بعيد . ولا شك ان هذا يفعم النفس بالاطمئنان . اليس كذلك ؟ .

ـ نعم طبعا . ولكن الانسان عادة لا يستطيع ان يعرف الحقيقة الكاملة عن اي شخص اخر . ولا شك ان هذا جزء من جمال الحياة .

فضحكت مادج وقالت وهي تمضي به الى الغرفة المخصصة له :

ـ اوه ! لسوف استمتع بالمغامرة على كل حال .

وتأخر المستر ساترويت عن موعد العشاء قليلا ، لانه لم يصحب معه تابعه الخاص . وكان يحب ان يرتب حاجياته بنفسه ، وبعناية خاصة . ومن ثم وجد جميع المدعوين حول مائدة العشاء حين وصل اليها ، وسمع مادج تقول بلا كلفة :

ـ اوه ! اسرع يا مستر ساترويت ، فاننا نكاد نموت جوعا . هلم نبدأ .

واستقبلته مع سيدة طويلة القامة ، وقد خط الشيب شعرها ، قوية الشخصية ، رنانة الصوت ، واضحة النبرات .

ـ كيف حالك يا مستر ساترويت ؟

وجفل المستر ساترويت حين رأى المستر دافيد كيلي يحييه ، فقال معتذرا :

ـ معذرة يا مستر كيلي . فالواقع اني لم ارك .

ـ لا عليك ، فان احدا لا يراني عادة .

واخذ الجميع يتبادلون الاحاديث والضحكات وهم يتناولون العشاء ، وكان هو يجلس بين مادج وبين فتاة سوداء الشعر ، قصيرة القامة ، عالية الضحكة ، قوية الارادة كما يبدو من حديثها وصلابة ملامحها ، اسمهـا دوريس ، وكانت في جملتهـا من الطراز الذي لا يميـل اليـه المستـر ساترويت . والى جانب مادج من الناحية الاخرى جلس رجل في نحـو الثلاثين من عمره ، يبدو من الشبه الواضح بينـه وبـين السيـدة ذات الشعر الاشيب انه ابنها ، والى جانبه جلست فتاة جعلت المستر ساترويت يحبس انفاسه من فرط الدهشة والعجب .

انه لم يدر كيف يصفها ! انها لم تكن الجمال مجسما ، وانما كانـت شيئا اخر ، شيئا اكثر مرونة واكثر غموضا من الجمال .

كانت تنصت الى حديث المستر دافيد كيلي ــ والد مادج ــ وهي تميل برأسها جانبا . كانت موجودة ، ولم تكن موجودة في وقت واحد ، في رأي المستر ساترويت . كانت تبدو انها ارهف كثيرا من الناحيـــة المادية البشرية من جميع الجالسين حول المائدة البيضاويـة . وكان في تكوين جسمها نسق جميل ، بل اكثر من جميل ، وحين رفعت عينيها الى ناحية المستر ساترويت ، والتقت بعينيه في نظرة دامت دقيقة ، اذا هـو يجد التعبير الملائم : فاتنة !! نعم . كانت موفورة السحر والفتنة . ولعـل من يراها يحسبها احدى هذه المخلوقات الرقيقة العذبة التي تحدثنا عنهـا الاساطير ، وكان مجرد وجودها يجعل الجميع يبـدون اكثر واقعيـــة وماديـــة .

ولكنها في نفس الوقت ، وبطريقة عجيبة غريبة ، كانت تثير في نفسه العطف والرثاء ، وكأنما كانت رقتها البالغة التي تجعلها لا تشبه البشر ، تعوقها عن الظهور بالمظهر الطبيعي . ووجد المستر ساترويت يقول لنفسه :

« ما اشبهها بطائر مهيض الجناح ! » .

ولما اطمـأن الى هذا التعبـير ، تنبـه لنفسه ، وتمنى لو ان الفتاة دوريس الجالسة بجانبه لم تلحظ ذهوله ، ولكنه رآهـا مشغولة بالحديث الى رجل بجانبها لم يلحظه المستر ساترويت من قبل . واخيرا استدار هو الى مادج وقال بصوت خافت :

ــ من هذه السيدة الجالسة بجوار والدك ؟!

ــ المسز جراهام ؟ اوه لا . لا شك انك تعني مابل . الا تعرفها ؟ مابل انيسلي ، انهـــا من اسرة جلاديسلي . واحـــدة من اسرة جلاديسلي

المنحوسة الطالع !

ودهش لهذا التعبير ، ولكنه تذكر . فقد قتل شقيق في هذه الاسرة نفسه بالرصاص ، وغرقت اخت ، ومات ثالث في زلزال . انهـــا اسرة يطاردهـا النحس بشكل عجيب . ولا شك ان مابل هذه هي صغرى الاخوة والاخوات .

ومرة اخرى افاق من افكاره حين احس بيـد مادج تضغط على يده تحت المائدة ، ثم تهمس له في خفوت وهي تومىء براسها نحو اليسار :

ـ هذا هو !

اومأ المستر ساترويت براسه سريعا في فهم وادراك . اذن فهذا هو الشاب جراهام الذي وقع عليه اختيار مادج . حسنا ، انه لم يكـن في مقدورها ان تختار افضل منه من ناحية المظهر . فقد كان وسيما ، لطيفا ، طبيعيا في احاديثه ، ولا شك انه سيكون انسب زوج لمادج .

ولما كانت مادج تتبع النظام القديم في آداب المائدة ، فقـد تركت السيدات ينصرفن اولا من قاعة الطعام . ومن ثم اقترب المستر ساترويت من الشـاب جراهام ، وراح يتحدث معه . ورغم انه تأكد من صدق حدسه عنه ، الا انه لاحظ يد الشاب وهي ترتعد حينما كان يرفع الكأس الى شفتيه ، كما لاحظ انه شارد الذهن ، مشتت الفكر بعض الشيء .

وقال ساترويت لنفسه :

« ان هناك ما يشغل تفكيره ! وقد لا يكون بالاهمية التي يظنها ، وعلى كل حال ترى ماذا يشغل باله بهذه الصورة ؟ » .

وكان ساترويت قد اعتاد ان يتناول بعض اقراص الهضم عقب تناول الطعام ، ولما كان قد نسي علبة الاقراص في غرفته بالطابق الاعلى ، فقـد صعد اليها ، وفي اثناء هبوطه ومروره في الدهليز الطويـل المـؤدي الى غرفة الجلوس ، تسمر مكانه في منتصـف الدهليـز امام باب غرفة كانت تسمى « غرفة الشرفة » ، وكان الباب مفتوحا قليلا ، وضوء القمر ينسكب في الغرفة من خلال نوافذها الشبكية ، ويرسم بخيوطه الفضية اشكالا هندسية عجيبة ، ورأى ساترويت على حافة النافذة سيدة جالسة ، مائلة الجسم قليلا ، تداعب بأناملها أوتار قيثارة ، فتصدر نغمات عذبة حالمة ، وصوتها الناعم الخافت يصاحب النغمات كانه هديل الحمام . وكان ثوبها من الشيفون الفاخر ، الازرق اللـون ، وكان مكشكشـا ومقصصا حتى بدا كأنه ريش طائر .

ودخل الغرفة ، خطوة ، خطوة ، حتى اذا اقترب منها ، ورأى وجهها ، ورأته ولم تندهش ، ولم تجفل ، فقال معتذرا :

ـ ارجو الا اكون قد ازعجتك !

ـ ارجوك .. اجلس !

وجلس بجانبها على مقعد من خشب الزان المصقول البراق . وبعد ان ترنمت بصوت ناعم ، قالت :

ـ ان هذه الليلة مشحونة بالفتنة والسحر . الا ترى هذا ؟

ـ نعم . ان فيها شيئا كثيرا من السحر !

وقالت شارحة الموقف :

ـ لقد طلبوا مني ان آتي بقيثارتي من غرفتي لاعزف لهم عليها ، وفيما انا امر على هذه الغرفة ، سحرني ضوء القمر ، وأحسست برغبة شديدة في الانفراد بنفسي ، في الظلام ، وفي ضوء القمر .

فنهض ساترويت معتذرا وقال :

ـ اذن فلا شك اني افسدت هذا الجو .

ـ لا .. لا .. لا تذهب ، انك زدته سحرا .

ولما جلس ، استطردت هي تقول :

ـ ان الهدوء العجيب يزين هذه الليلة . وقد خرجت في غروب اليوم الى الغابة ، والتقيت برجل ، طويل نحيل ، ملوح البشرة ، عجيب السمت ، كأنه مهرج « هارليكوين » تحت ضوء الشمس الغاربة المتسلل من اوراق الشجر .

ومال ساترويت الى الامام وقال :

ـ اه !!!

ـ وأردت ان اتحدث معه ، وقد بدا لي كأني اعرفه من قبل . ولكنه اختفى بين الشجر .

ـ اظن اني اعرفه !

ـ احقا ؟.انه رجل عجيب ، أليس كذلك ؟

ـ نعم .

وساد الصمت برهة ، واراد ساترويت ان يقول شيئا ، فلم يستطع الا ان يتمتم قائلا في ارتباك :

ـ ان الانسان ، عندما يشعر بالتعاسة ، يحب احيانا ان ينفرد بنفسه .

فقاطعته قائلة :

ـ نعم . هذا حق . ولكنني اعتقد ان الاصح هو اني اردت الانفراد بنفسي لاني اشعر بالسعادة .

ـ اتشعرين بالسعادة اذن ؟

ـ جدا ، جدا .

وكانت تتحدث بهدوء ، ومع ذلك فقد ادرك ساترويت انها حين تتحدث عن السعادة ، فانما تعني بحديثها شيئا اخر غير الذي تعنيه مثلا فتاة مثل مادج حين تتحدث عن السعادة . ان السعادة في راي مابل آنيسلي لا بد ان تكون نوعا من اللذة والنشوة والمتعة البالغة .

وقال في حذر :

ـ انني لم اكن اعرف .

ـ نعم . نعم . انك لم تعرف بعد. فانا لست الان سعيدة ، ولكنني ساغدو بعد ايام قليلة اسعد انسانة في الدنيا . سأكون كالرجل الذي عاش سنوات في غابة مظلمة رهيبة زاخرة بالمخاطر والمهالك ، وبعد ان كاد يموت يأسا ، اذا به يجد نفسه خارج الغابة ، يطل على مدينة الاحلام التي طالما هفا اليها وتمنى بلوغها ، ولم يبق عليه الا ان يخطو خطوة واحدة لتتحقق له كل امانيه .

وقال ساترويت :

ـ ان كثيرا من الاشياء تبدو جميلة قبل ان نصل اليها ، وان أقبح الاشياء في العالم قد تلوح جميلة ونحن ننظر اليها من بعيد ، ونتمنى الحصول عليها .

وتوقف ساترويت عن الحديث حين سمع وقع خطوات وراءه ، فلما التفت ، رأى رجلا ينم وجهه على الغباء والبرود ، وكان نفس الرجل الذي لم يثر اهتمام ساترويت اثناء العشاء .

وقال الرجل لمابل :

ـ انهم في انتظارك يا مابل .

ونهضت مابل وقد تلاشت كل امارات السعادة من وجهها ، وقالت بصوت بارد هادىء :

ـ انني آتية يا جيرارد ، كنت اتحدث فقط مع المستر ساترويت .

وانصرفت عن الغرفة ، وتبعها ساترويت بعد ان القى نظرة سريعة على وجه زوجها ـ جيرارد ـ ورأى عليه مزيجا من اللهفة والحرمان

واليأس .

وقال لنفسه : « يا للمسكين .. يبدو انه مسحور بزوجته ، ومحروم منها في نفس الوقت » .

وفي غرفة الجلوس ، جلست مابل بين المدعوين جميعا ، واخذت تغني على نغمات قيثارتها ، والجميع يرددون المقطع الاخير من غنائها .

وفيما كان ساترويت يفكر في احدى الاغنيات الاثيرة لديه ، اذا بمابل تقطع غناءها ، وتنظر اليه ، ثم تبتسم وتبدأ في ترديد هذه الاغنية التي يفضلها : « يا حمامتي الجميلة .. » .

وانفضت الجلسة بعد ذلك ، وقدمت مادج الى الجميع الكؤوس الاخيرة ، بينما كان والدها دافيد كيلي يعبث بأصابعه في اوتار القيثارة محاولا ان يلعب عليها في ذهول وشرود ذهن . وتبادل الجميع تحيات المساء ، واقتربوا من باب الغرفة للانصراف الى مضاجعهم ، وكانوا جميعا ، كالمعتاد ، يتحدثون في وقت واحد ، واخيرا انصرف جيرارد انيسلي زوج مابل تاركا وراءه الاخرين .

وخارج غرفة الجلوس ، تبادل ساتروبت تحية المساء مع المسز جراهام والدة الشاب الذي تبادله مادج الحب ، وكان للطابق الاعلى سلمان : سلم قريب ، وآخر في نهاية الدهليز . وصعدت المسز جراهام وابنها الى غرفتيهما في الطابق الاعلى عن طريق السلم القريب ، وهو نفس السلم الذي صعد عليه قبلهما جيرارد انيسلي .

وقالت مادج لمابل :

ـ يحسن ان تأخذي قيثارتك من غرفة الجلوس يا مابل ، لانك اذا لم تأخذيها الان ، فربما تنسينها غدا عند رحيلك ، لا سيما وانت تنوين الرحيل في ساعة مبكرة .

وقالت الفتاة دورس كولز وهي تمسك بذراع ساترويت :

ـ هلم يا عزيزي ، فقد آن وقت النوم .

وتناولت مادج ذراعه الاخرى ، وسار الثلاثة نحو السلم الذي في نهاية الممر ، وضحكات دوريس تجلجل في المكان كله . وفي نهاية الممر ، وقفوا ينتظرون دافيد كيلي الذي جاء وراءهم وهو يطفىء الانوار الواحد بعد الاخر وهو في طريقه اليهم . واخيرا صعد الاربعة الى غرفاتهم .



وفي صباح اليوم التالي ، بينما كان المستر ساترويت يتأهب للهبوط الى طعام الافطار ، اقبلت اليه مادج كيلي بوجه شديد الامتقاع ، وقالت له وهي ترتعد بشدة :

ـ اوه .. مستر ساترويت . يا للفظاعة !

ـ ماذا حدث يا عزيزتي ؟

ـ مابل ـ مابل انيسلي !

ـ ماذا بها ؟

ـ شنقت نفسها الليلة الماضية في باب غرفتها . يا الهي !

وانهارت مادج باكية .

وهدأ ساترويت من روعها بكلمات قليلة مألوفة في مثل هذه المواقف ، ثم اسرع بالهبوط الى الطابق الاول حيث وجد المستر دافيد كيلي مضطربا مرتبكا يقول :

ـ لقد اتصلت بمركز البوليس تليفونيا يا مستر ساترويت . ويبدو انها ماتت ، هكذا قال الطبيب الذي فرغ الان من فحص جثتها . يا للفظاعة . لا شك انها كانت شقية في حياتها الى حد اليأس . والا لما فعلت بنفسها هذا !

ـ نعم نعم . هذا ما يبدو ، لا شك في هذا .

ثم تردد برهة ، واردف قائلا :

ـ هل يمكن ان .. ان اراها ؟

ـ اوه . يمكنك طبعا . لقد نسيت انك تهتم بمثل هذه الاحداث .

وصعد معه على درجات السلم العريض ، وهناك في اول الطابق الثاني كانت غرفة روجر جراهام ، وفي مواجهتها ، غرفة والدته المسز جراهام . وكان باب هذه الغرفة الثانية مفتوحا قليلا ، وتنساب منه سحابة خفيفة من الدخان .

وخامرت الدهشة عقل المستر ساترويت . فما كان يظن ان المسز جراهام سيدة تدخن في بكورة الصباح بمثل هذه الكثرة .

وسارا معا في الدهليز حتى وصلا الى الباب قبل الاخير ، وفتحه المستر دافيد كيلي ودخل وراءه المستر ساترويت . وكانت الغرفة كبيرة تدل على انها غرفة رجل ، وفي الجدار الايسر منها باب اوسط يفضي الى غرفة مجاورة ، ومن اعلى الباب الثاني لهذه الغرفة كانت تتدلى قطعة من الحبل . اما على الفراش ، فكانت ترقد مابل ، جثة

هامدة ، رهيبة المنظر .

ووقف ساترويت برهة ينظر الى المراة التي كانت قبل ساعات معدودة تنبض بالحياة ، وبالسحر والفتنة ، وكانت لا تزال ترتدي ثوبها الشيفون المكشش والمقصص كانه ريش طائر .

ونظر اخيرا الى الباب والى قطعة الحبل المدلاة منه ، ثم انتقل بنظراته الى الباب الاوسط وقال لدافيد كيلي مشيرا اليه :

ـ هل كان هذا الباب الاوسط مفتوحا ؟!

ـ نعم . هكذا قالت الخادمة .

ـ الم يسمع انيسلي ، زوجها ، شيئا وهو نائم في هذه الغرفة المجاورة ؟

ـ يقول انه لم يسمع شيئا .

ـ هذا عجيب . اين هو ؟

ـ انيسلي ؟ انه مع الطبيب في الطابق الاول .

ولما هبطا الى الطابق الاول ، وجد المفتش وتكفيلد ، الذي يعرفه ساترويت ، في طريقه مع الطبيب الى غرفة القتيلة . وبعد لحظات ، عاد المفتش وطلب من الجميع ان يجتمعوا في غرفة الجلوس .

وكانت دوريس كولز تمسح الدموع من عينيها وهي تبدو خائفة ، وبدت مادج كيلي ، كعادتها ، ممتلكة لاعصابها ، وكذلك كانت المسز جراهام ، رزينة هادئة ، بعكس ابنها روجر الذي بدا مضطربا اشد الاضطراب . اما المستر دافيد كيلي ، فكان ، كالمعتاد ، لا يكاد يحس به احد . وجلس الزوج الحزين ، بمفرده ، في جانب من الغرفة ، تطل من عينيه نظرات ذاهلة شاردة كانه لا يصدق ما حدث .

ورغم ما كان يبدو على المستر ساترويت من هدوء ظاهري ، الا انه كان شديد الانفعال ، موفور الحماس للدور الذي سيقوم به في هذه المأساة .

واقبل المفتش يتبعه الدكتور موريس ، ثم أغلق باب الغرفة وجلس . وبعد ان تنحنح تحدث بكلمات قليلة مناسبة ، ثم قال :

ـ لسوف ابدأ الان بالحديث مع المستر انيسلي ، بصفته زوج .. المتوفاة . ارجو يا مستر انيسلي ان تخبرني ، هل سبق أن سمعت زوجتك تهدد بالانتحار ؟!

وفتح ساترويت شفتيه رغما عنه ، ولكنه أسرع وزمهما قائلا لنفسه

ان في الوقت متسعا للحديث فيما بعد .
وقال انيسلي بصوت متردد جعل الجميع يركزون انظارهم عليه :
ـ لا . لم اسمعها ابدا تهدد بالانتحار .
ـ هل كنت تعرف انها ، لسبب ما ، كانت شقية في حياتها ؟
ـ لا . لم اكن اعرف شيئا من هذا .
ـ الم تحدثك ، مثلا ، عن شعور مفاجيء بالانقباض وتوتر الاعصاب ؟
ـ لا . لا ابدا .
ـ هل يمكن ان تصف لي في ايجاز ما حدث ليلة امس ؟
ـ لقد ذهبنا جميعا الى غرفتنا لننام . وقد استغرقت في النوم .فلم اسمع شيئا او اشعر بشيء . ولم أستيقظ الا على صراخ الخادمة في الصباح ، فهرعت الى الغرفة المجاورة عن طريق الباب الاوسط ، فوجدت زوجتي ، وجدتها ...
واومأ المفتش براسه ، وقال :
ـ نعم . نعم . لا داعي للاستطراد في الحديث عما رايت . ولكن اين رايت زوجتك اخر مرة ليلة امس ؟.
ـ هنا . في هذه الغرفة !
ـ هنا ؟!
ـ نعم . فقد كنت اول من انصرف منها ، وصعدت فورا الى غرفتي، تاركا الجميع يتبادلون الحديث قبيل ذهابهم الى غرفهم .
ـ الم تر زوجتك بعد ذلك ؟ الم تتبادل معها تحية المساء كالمعتاد عندما وصلت الى فراشها ؟
ـ كنت نائما عندما وصلت كما يبدو .
ـ ولكنها تبعتك فورا . اليس كذلك يا مستر كيلي ؟
ونظر الى دافيد كيلي الذي أومأ براسه . ولكن انيسلي قال باصرار :
ـ انها لم تكن قد عادت الى غرفتها رغم مرور نصف ساعة على وصولي الى غرفتي .
والتفت المفتش الى المسز جراهام وقال :
ـ هل دخلت غرفتك لتتبادل معك الحديث يا مسز جراهام ؟
وخيل الى ساترويت ان المسز جراهام ترددت قليلا قبل ان تقول بثبات :
ـ لا . لقد اويت الى غرفتي ، واغلقت الباب من الداخل ولم اسمع

شيئا .

وعاد المفتش يسأل انيسلي قائلا :

ــ وانت يا سيدي ، تقول انك لم تر او تسمع شيئا . الم يكن الباب الاوسط مفتوحا ؟

ــ اظن ذلك ! ولكن كان في مقدور زوجتي ان تدخل غرفتها من الباب الاخر ، المؤدي الى الدهليز مباشرة .

ــ وحتى لو انها دخلت من هذا الباب ، فلا بد انك سمعت اصواتا معينة ، مثل حشرجة الاختناق ، او الاحتضار ، او الالم ، او اصطدام كعبيها في الباب .

ــ لا . لم اسمع شيئا .

وهنا لم يستطع المستر ساترويت ان يكبح جماح لسانه ، فقال :

ــ معذرة يا سيدي المفتش . انك تسير في طريق خاطىء . فان مابل انيسلي لم تنتحر ، وانما قتلت . وانا واثق من هذا !!

وخيم الصمت الرهيب على الجميع برهة ، واذا المفتش يقول :

ــ ما الذي يدفعك الى هذه الثقة ؟

ــ شعوري الخاص . وهو شعور قوي .

ــ ولكنني اعتقد انه لا بد ان يكون هناك سبب اقوى من مجرد الشعور .

وقال ساترويت لنفسه :

« طبعا هناك سبب اقوى ، انها رسالة كوين الخفية . ولكنني لا استطيع ان اقول هذا للمفتش » .

وبصوت مسموع قال :

ــ في الليلة الماضية ، عندما كنت اتحدث معها ، قالت لي انها سعيدة ، سعيدة جدا جدا . انها سوف تغدو بعد ايام قليلة اسعد امراة في الدنيا ، فكيف يتفق هذا مع الانتحار ؟

ثم اردف قائلا بصوت الرجل المنتصر :

ــ وقد عادت الى غرفة الجلوس لتأتي بقيثارتها حتى لا تنساها عندما ترحل عن القصر في ساعة مبكرة من الصباح ، فهل هذا سلوك امراة تنوي الانتحار في نفس الليلة ؟

فقال المفتش موافقا :

ــ لا . طبعا لا .

تم استدار الى دافيد كيلي وقال له :
ـ هل اخذت معها قيثارتها الى غرفة نومها ؟
ففكر دافيد كيلي برهة ثم قال :
ـ نعم . اعتقد هذا . لقد صعدت درجات السلم وهي تحملها . فأنا اعتقد اني راينها في يدها وهي تنعطف في منحنى السلم قبل ان اطفىء الانوار .
فهتفت مادج قائلة وهي تشير الى مائدة قريبة :
ـ عجبا ! ولكن القيثارة موجودة هنا في هذه الغرفة ، على هـذه المائدة .
فقال المفتش وهو يخطو بسرعة ويضغط على جرس الخدم :
ـ هذا غريب !
ولما حضر احد الخدم ، طلب منه استدعاء الخادمة المخصصة لترتيب الغرف في الصباح وكانت الخادمة ، حين اقبلت ، واثقة من اجاباتها .
فقد قالت : ان القيثارة كانت اول شيء راته في هـذه الغرفة ، غرفـة الجلوس ، عندما جاءت لترتيبها في الصباح .
وصرفها المفتش ونكفيلد ، ثم قال وهو يلوي شفتيه :
ـ احب ان اتحدث على انفراد مع المستر سانرويت . ارجـو من الجميع الانصراف الان ، على الا يغادر احد الدار .
وقال ساترويت متململا بعد أن انصرف الجميع واغلقـوا وراءهم الباب :
ـ انا واثق تماما يا سيدي المفتش ان خيوط القضية قد اصبحت كلها بين اصابعك . والواقع انني احسست بأن في الامـر جريمـة ، وأن احساسي في هذه الناحية قوي .
ـ انك على حق يا مستر ساتروبت . فهذه السيدة لم تنتحر ، وانما قتلت .
فقال ساترويت مدهوشا :
ـ اكنت تعرف هذا ؟
فأجاب المفتش قائلا وهو ينظر الى الدكتور موريس الذي ظل جالسا في هدوء :
ـ هناك بعض الظواهر التي اثارت شكوك الدكتور مورس . فبعد الفحص الدقيق ، ثبت لنا ان الحبل الذى وجدناه حول عنقها ، لم يكـن

نفس الحبل الذي اختنقت به . لقد اختنقت بحبل اقل سمكا بكثير . حبل رفيع جدا يشبه السلك ، لانه غاص في لحم العنق . وبعد ان تم خنقها لف عنقها بالحبل الاخر المعلق بباب غرفتها لكي يبدو الامر كانه حادث انتحار .

ـ ولكن .. من ؟!

ـ هذه هي المشكلة : من القاتل ؟! ما رايك في الزوج الذي ينام في الغرفة المجاورة . والذي لا يتبادل مع زوجته تحية المساء ، والذي لم يسمع شيئا ؟ اعتقد ان الامر واضح بالنسبة اليه . ويحسن ان نعرف كيف كانت الحياة الزوجية بينه وبين المجني عليها . فهل يمكن ان تساعدنا في هذا الامر يا مستر ساترويت ؟

فشد ساترويت قامته ، وقال محتجا :

ـ ارجو يا سيدي المفتش ان تعفيني من ...

ـ ليست هذه اول جريمة غامضة تساهم في كشف اسرارها يا مستر ساترويت . انك موهوب في هذه الناحية .

وقال ساترويت بابتسام :

ـ لسوف ابذل جهدي يا سيدي المفتش .

هل جيرارد انيسلي هو قاتل زوجته حقا ؟ ان ساترويت يتذكر النظرة اليائسة التي رآها تطل من عينيه في الليلة الماضية . لقد كان يحبها ، وكان يشقى بهذا الحب . والشقاء في الحب يدفع المحب احيانا الى افعال عجيبة شاذة .

ولكن هناك شيئا اخر ، حقيقة اخرى . لقد تحدثت مابل عن نفسها كانسانة توشك ان تخرج من غياهب غابة مظلمة الى نور مدينة الاحلام . كانت تتوقع السعادة ، سعادة من نوع كله المتعة واللذة والسرور العميق المركز .

فإذا كان جيرارد انيسلي قد صدق في قوله ان زوجته لم تأت الى غرفتها حتى بعد مرور نصف ساعة من وصوله الى غرفته . ومع ذلك فقد شهد دافيد كيلي انه رآها تصعد الى الطابق الثاني عقب انصراف الجميع من غرفة الجلوس . ان في هذا الطابق الثاني ، غرفتين يقيم فيهما مدعوان آخران : هما المسز جراهام ، وابنها ، روجر جراهام .

وقد انكرت المسز جراهام ان مابل تخلفت في غرفتها للحديث معها !

لم يبق اذن غير روجر !

ولكن روجر يتبادل الحب مع مادج كيلي ، وسوف يعلنان خطبتهما قريبا .

وفجأة تذكر المستر ساتروبت الدخان الذي رآه ينساب من غرفة المسز جراهام ، وعجب من امره . وتصرف بالغريزة والحافز المفاجىء . فاسرع الى غرفة المسز جراهام ، ووجدها خالية ، فأغلق الباب بالمفتاح من الداخل ، وادار نظره في انحاء الغرفة ، وحانت منه نظرة الى قاعدة المدفأة حيث وجد كومة الرماد التي تدل على ان اوراقا كثيرة كانت تحرق فيها . ولم ييأس ، وانما راح يعبث في الرماد حتى عثر على قصاصات لم يتم احتراقها ، فتناولها برفق ، وقرأ فيها هذه العبارات المتناثرة :

« لا يمكن ان تصبح الحياة اجمل وأروع مما نحن فيه يا عزيزي روجر ... انني لم اكن اعرف .. كل حياتي كانت كابوسا مرعبا حتى عرفتك يا روجر .. »

« اظن ان جيرارد عرف كل شيء ، انني آسفة . فماذا يمكنني ان افعل ؟ ليس في الدنيا شيء حقيقي غيرك . لسوف نسعد بالحياة معا قريبا ... » .

« ماذا تنوي ان تقول له في قصر لايدل يا روجر ؟ انك تكتب بطريقة غامضة .. ولكني لست خائفة » .

ووضع المستر ساتروبت هذه القصاصات بعناية في مظروف اخذه من منضد الكتابة . ثم خطا نحو الباب وفتحه ، ليجد نفسه وجها لوجه امام المسز جراهام .

وكان يعرف في مثل هذه المواقف الحرجة ان الهجوم خير وسيلة للدفاع . ومن ثم قال :

ــ كنت افتش غرفتك يا مسز جراهام ، وقد عثرت على مجموعة من الرسائل لم تحترق تماما .

ولاح الفزع في وجهها برهة خاطفة ، ولكنها لم تلبث ان استردت هدوءها ، فعاد ساتروبت يقول :

ــ رسائل غرامية من مسز انيسلي الى ابنك روجر .

فترددت برهة ، ثم قالت :

ــ هذه حقيقة لا استطيع انكارها . ولهذا رايت ان من الافضل احراقها .

ــ لماذا ؟

ــ لان ابني سيتزوج قريبا ، وهذه الرسائل ، اذا عرف امرها بعد

انتحار المسكينة ، ستثير فضائح لا داعي لها .
ـ كان يمكن ان يتولى ابنك احراقها ؟
ولما لم تجب . استغل ساترويب هذه الفرصة واردف قائلا :
ـ انت قد عثرت على هذه الرسائل في غرفته ، فحملتها الى غرفتك لاحراقها . فلماذا يا مسز جراهام ؟ هل كنت خائفة من شيء ؟
ـ انني لم اتعود ان اخاف شيئا يا مستر ساترويت .
ـ نعم . ولكن هذه حالة خاصة تدعو الى الاضطراب والخوف .
ـ الاضطراب والخوف ؟
ـ نعم . الخوف من ان يلقى القبض على ابنك بتهمة القتل .
ـ القتل ؟!
ورأى مدى امتقاع وجهها ، فاسرع يقول :
ـ لقد سمعت المسز انسلى وهى تدخل غرفة ابنك الليلة الماضية ، ويبدو انه اخبرها عن غرامه بمادج كيلي ورغبته في الزواج بها ، فثارت عليه ، وحدثت بينهما مشادة عنيفة .
ـ هذا كله كذب .
وكان قائلها هو روجر جراهام بعد ان وصل اليهما دون ان يشعر به احدهما .
ثم اردف قائلا :
ـ حسنا يا اماه . لا تقلقى . تعال الى غرفتى يا مستر ساترويت .
وتبع ساترويت الشاب الى غرفته ، ولم تحاول الام ان تمضى وراءهما ، واغلق روجر باب الغرفة من الداخل ثم قال :
ـ اسمع يا مستر ساترويت ، انك تظن انني قتلت مابل . تظن انني قتلتها هنا ، ثم حملتها بعد ذلك وعلقتها في باب غرفتها عندما استغرق الجميع في النوم . أليس كذلك ؟!
وحملق ساترويت في وجهه مندهشا ثم قال :
ـ لا . انني لا اظن هذا .
ـ حمدا لله . لانني لم اكن استطيع قتل مابل . فقد كنت احبها ، أو هكذا توهمت . فأنا في الواقع لا ادري هل كان حبا ام وهما . ولكننى اميل جدا الى مادج ، وكنت دائما اميل اليها . وهي في الحقيقة خير زوجة . اما مابل فانها تختلف كثيرا . ولست ادري ماذا اقول . انها سحرتني ، وانا كنت اشعر بالخوف منها .

واوما ساترويت براسه ، بينما استطرد روجر قائلا :

ـ واردت ان اضع نهاية لعلاقتي بمابل ، وكنت انوي ان احدثها في هذا الامر في الليلة الماضية .

ـ ولكنك لم تفعل ؟

ـ لا ، لم افعل . واقسم لك على هذا . انني لم ارها بعد ان تبادلت معها تحية المساء في الطابق الاول .

ـ انني أصدقك .

ونهض وهو يؤكد لنفسه ان روجر ليس هو القاتل . لقد كان يود ان يفر منها ، لا ان يقتلها . لقد ادرك اخيرا انه كان مفتونا مسحورا بها ، ولكنه قرر أن يتحرر من ربقة هذا السحر ، وان يلجأ الى مرفأ امين . الى فتاة لطيفة هادئة متزنة مثل مادج .

وهبط ساترويت الى غرفة الجلوس ، فوجدها خالية : ولكنه رأى قيثارة مابل موضوعة على النافذة ، فتناولها وراح يداعب اوتارها في شرود ذهن ، ورغم انه لم يكن يجيد العزف على الآلات الوترية ، الا ان اذنه المرهفة ادركت وجود نغمة نشاز واضحة في الوتر الغليظ الاول . وعبثا حاول ان يضبط الوتر ، وفجأة اقبلت دوريس ونظرت اليه في عتاب وهي تقول :

ـ اوه ، هذه قيثارة مابل المسكينة !

فقدمها ساترويت اليها وقال :

ـ هل يمكن ان تضبطي لي هذا الوتر ؟

ـ نعم . طبعا .

وتناولتها منه ؛ وما كادت تضغط على مفتاح ضبط الوتر حتى فوجئت به ينقطع فهتفت قائلة وهي تفحصه :

ـ عجبا !! انه ليس الوتر المفروض ان يوضع في هذا المكان . انه وتر من النوع «ا» وليس هذا موضعه . ولهذا انقطع حينما اردت ان اضبطه . ما احمق بعض الناس !

ـ نعم . ما اشد حماقة بعض الناس حين يظنون انهم عباقرة .

وكان في نبرات صوته ما جعل دوريس تنظر اليه في عجب وتساؤل . ولكنه تناول الوتر المقطوع منها ، ومضى به الى غرفة المكتبة ، حيث وجد المستر دافيد كيلي ، فقال له وهو يقدمه اليه :

ـ هاك يا مستر كيلي .

فتناوله دافيد كيلي منه وقال :
ـ ما هذا ؟
ـ وتر مقطوع . ماذا فعلت بالوتر الاصلي يا مستر كيلي ؟
ـ الوتر الاصلي ؟
ـ نعم . الوتر الذي خنقت به مابل انيسلي . لقد كنت بارعا في ارتكاب هذه الجريمة ، اليس كذلك ؟ لقد ارتكبتها بسرعة بالغة ، اي في الوقت الذي كنت امضي فيه مع دوريس مادج الى السلم الاخر في نهاية الدهليز . أليس كذلك ؟ لقد عادت مابل الى غرفة الجلوس لتأخذ قيثارتها ، وكنت انت قد انتزعت الوتر اثناء مداعبتك للاوتار بأصابعك ونحن ننصرف من الغرفة . فلما دخلت الغرفة . فاجأتها من الخلف ولففت الوتر حول عنقها ، وخنقتها به . ولا شك ان حشرجتها ضاعت في رنين ضحكات دوريس ونحن في الدهليز ، وبعد ذلك خرجت من الغرفة ورحت تطفىء الانوار حتى انضممت الينا . وفي سكون الليل ، فيما بعد ، عدت الى غرفة الجلوس ، وحملت جثتها ، وعلقتها في باب غرفتها . ثم وضعت وترا اخر في القيثارة ؛ ولكنك لم تفطن الى انك وضعت وترا مخالفا للوتر الاصلي . وهذه هي الهفوة التي كشفت امرك .
ولما لم يجب دافيد كيلي بشيء ، اردف ساترويت قائلا :
ـ ولكن ، لماذا فعلت هذا ؟ لماذا ؟
وفجأة ارسل دافيد كيلي ضحكة عالية جوفاء رهيبة الرنين جعلت ساترويت يشعر بالغثيان ، ثم قال :
ـ لشد ما كان الامر بسيطا ! هذا هو السبب . وهناك سبب اخر ، هو ان الناس جميعا كانوا لا يلحظونني . كانوا يحسبون انني كم مهمل لا قيمة له . ولم يكن بينهم من يحاول ان يهتم بأمري او يعرف ماذا افعل . وقد اردت ان اسخر منكم جميعا .
ومرة اخرى ارسل ضحكة رهيبة وهو يحملق في وجه ساترويت بعينين بطل منهما الجنون .
وتنهد ساترويت في ارتياح عندما راى المفتش ونكفلد يدخل الغرفة في تلك اللحظة .



وبعد اربع وعشرين ساعة ، استيقظ المستر ساترويت من نومه في مقصورته بمركبة النوم بالقطار الذاهب الى لندن ، ثم اذا هو يفاجأ برجل طويل نحيل ملوح البشرة يقف امامه . وتمتم قائلا بلا دهشة :

ـ عزيزي المستر كوين ؟

ـ نعم . انني هنا .

ـ انني خجول من نفسي . لقد فشلت في مهمتي .

ـ أحقا فشلت ؟

انني لم استطع انقاذها !

ـ ولكنك اكتشفت امر القاتل .

ـ نعم . نعم . فقد كان من الممكن ان يتهم احد الشبان من المدعوين بقتلها ، وبذلك انقذت واحدا منهم من الموت ظلما . ولكن .. هذه المخلوقة العجيبة ، الساحرة ..

ـ هل الموت هو أسوأ شيء يمكن ان يحدث للانسان ؟

ـ انني ، انني لا ادري . ربما لا .

ـ لو انها عاشت ، الم يكن من المحتمل ، او المؤكد ان تثير فضيحة تفسد بها حياتها ، وحياة زوجها ، وحياة مادج روجر جراهام ؟

ـ نعم .. نعم .. ولكن ..

ورفع ساترويت عينيه ، واذا به لا يجد اثرا للمستر كوين امامه .

الفصل السابع

آخر الدنيا

كان المستر ساترويت ، رغم ثرائه الواسع ، من اولئك الذين يحبون مصاحبة الكبراء وذوي الالقاب الفخمة الضخمة ايا كانت عيوبهم . فلا عجب اذا احس بالرضا والبهجة حين طلبت منه الدوقة اوف ليث ان يصحبها في رحلة صيفية الى جزيرة كورسيكا .

كانت سيدة في مثل سنه ، ترتدي عادة الملابس السوداء المرصعة بمجموعة الجواهر الضخمة التي ورثتها عن آبائها واجدادها . وكانت عادة تثبت هذه الجواهر في ملابسها كما كانت تفعل امها ، حتى ان بعض الظرفاء كانوا يتندرون عليها قائلين انها تعودت ان تقف في وسط غرفتها وتترك خادمتها تقذف بالجواهر ذات المشابك عليها فتثبت كل قطعة كيفما اتفق !

وكانت حريصة في انفاق المال : فهي تطلب من اصدقائها دائما ان يعيروها سياراتهم ، او يدعوها تركب معهم من مكان الى اخر ، كما تعودت ان تشتري جميع حاجياتها من الاماكن التي يسمح فيها بالمساومة في الشراء .

ولكنها ، مع هذا الحرص ، كانت تتبرع بمبالغ طائلة للجمعيات الخيرية ، وتعامل مستأجري املاكها بالعدل والحسنى .

ولما كانت دائمة الشكوى من ارتفاع مستوى المعيشة في شاطىء الريفييرا ، فقد قررت ان تمضي فترة مع المستر ساترويت في جزيرة كورسيكا ، حيث ينخفض مستوى المعيشة ، وحيث تكثر الاماكن الاثرية والسياحية الجديرة بالفرجة .

وفي بهو فندق متواضع بميناء اجاكيو ، جلست الدوقة مع المستر ساترويت عقب وصولهما بحرا الى الميناء . وبعد ان تناولا طعام افطار خفيف وشربا القهوة ، رفعت منظارها اليدوي الى عينيها ، وطافت بنظراتها على الجالسين في البهو ، ثم هتفت فجأة :

ـ عجبا عجبا ! لن اكون الدوقة اوف ليث اذا لم تكن هذه هي نوامي كارلتون سميث .

واشارت الى فتاة كانت جالسة بمفردها الى مائدة بجانب النافذة ، مرتدية ثوبا رخيصا قاتم اللون ، ويبدو شعرها الاسود متهدلا بغير عناية او تصفيف . وسألها المستر ساترويت قائلا وهو يتأمل الفتاة :

ـ فنانة ؟

ـ نعم . او هكذا تقول عن نفسها . فأنا اعلم انها تعيش في ركن عجيب من اركان العالم ، فقيرة ، معدمة ، ولكنها اشد كبرياء من ابليس ، وهي مغرورة بالوراثة مثل جميع آل كارلتون سميث . ان امها كانت ابنة عمي مباشرة .

وبعد برهة من الصمت استطردت تقول عن نوامي :

ـ انها دائما عدوة نفسها فقد عقدت خطبتها الى شاب بغيض صعلوك يشتغل بتأليف المسرحيات ونظم الشعر وما الى هذا من الكلام الفارغ . وطبعا لم يجد من يشتري انتاجه ، فسرق جواهر بعض الناس ، وقبض عليه ، ولا اذكر كم سنة صدر الحكم بحبسه . اظن خمسة اعوام . ولا شك انك تذكر هذه القضية ، فقد كانت في الشتاء الماضي .

ـ في الشتاء الماضي كنت في مصر . فبعد نوبة برد عنيف ، نصحني

الاطباء بتمضية الشتاء في مصر .

وعادت الدوقة تحدق النظر في وجه الفتاة بمنظارها من بعيد ، ثم قالت :

ـ يلوح لي ان هذه الفتاة في حالة ضنك شديد ، وانا لا اسمح بذلك .

ونهضت وسارت الى مائدة الفتاة ، ثم توقفت وربتت كتفها وقالت :

ـ نوامي . يبدو انك لا تذكرينني ؟

فوقفت الفتاة في تراخ وقالت :

ـ انني اذكرك يا دوقة ، فقد رأيتك وانت تنزلين بهذا الفندق ، وخطر لي انك ربما لن تعرفيني .

وكانت تتحدث بصوت متراخ ممطوط . ولكن الدوقة تجاهلت هذه النبرات وقالت آمرة :

ـ عندما تفرغين من تناول طعامك ، تعالي الي في الشرفة .

وتثاءبت نوامي .

وبعد لحظات انضمت الى الدوقة والمستر ساتروويت ، وتهالكت في مقعدها بنفس الحركة المتراخية المستهترة ، وهنا اتيحت لساتروويت فرصة تأمل وجهها . وقد قرر في النهاية انه وجه اخطأه الجمال ، ولكنه ينم على ذكاء و . . شقاء .

وقالت لها الدوقة بنشاط :

ـ حسنا يا نوامي ! وماذا تفعلين الان بنفسك ؟

ـ اوه . لا ادري . اتفرج على الدنيا فقط .

ـ اترسمين ؟

ـ قليلا .

ـ اريني رسومك .

وابتسمت نوامي في استهتار للجهة الآمرة التي تتحدث بها الدوقة ولكنها غابت لحظات ، ثم عادت بمجموعة صغيرة من لوحاتها الحديثة ، واخذت تعرضها على الدوقة وعلى المستر ساتروويت وهي تقول للاولى :

ـ صارحيني برايك فيها ، ولو اني اعرف هذا الراي مقدما .

وقالت الدوقة عن الصورة الاولى :

ـ اين اولها ، واين آخرها ؟ انني لا اعرف ان كانت في وضع معتدل ام مقلوب .

وعن اللوحة الثانية قالت :

ـ ما افظع هذا ؟

وقال المستر ساترويت :

ـ ان هذه اللوحة تثير الرعدة في النفس !!

فابتسمت الفتاة وقالت :

ـ هذا ابلغ ثناء عليها ، لان هذا هو المقصود منها فعلا .

وكانت اللوحة ترمز لمجموعة من الفواكه المعطنة تعبث فيها الديدان فسادا ، وكانت مرسومة ببراعة واتقان وموهبة فنية جعلت ساترويت يقول :

ـ ما ثمن هذه اللوحة ؟

ـ ان كل لوحة ثمنها خمسة جنيهات . يمكنك شراء ما يعجبك منها .

ـ انني اريد هذه اللوحة بالذات .

ـ احسنت الاختيار . فهي افضلها جميعا .

وكانت في هذه المرة تتحدث اليه بصوت ينم على التقدير والاحترام بعد ان ادركت مدى ما يتمتع به من ذوق فني . اما هو فقال :

ـ اؤكد لك ان هذه اللوحة بعد سنوات معدودة ستساوي ثروة كاملة اذا خطر لي ان ابيعها .

ونظرت الفتاة اليه طويلا وقد بدا من نظراتها ان احترامها له قد تضاعف .

وقالت الدوقة :

ـ لن يستطيع احد ان يقنعني ان هذه الطريقة في الرسم نوع من الفن بأي حال . حسنا ، انني سامكث هنا بضعة ايام فقط ، واحب ان استمتع بمشاهد الجزيرة . ان لديك سيارة يا نوامي ، اليس كذلك ؟

ـ نعم .

ـ عظيم جدا . غدا نقوم في سيارتك برحلة الى الجبال .

ـ انها سيارة صغيرة ذات مقعدين فقط .

ـ ولو . لا بد ان لها مقعدا صغيرا خلفيا يمكن للمستر ساترويت ان يجلس فيه .

وارتعد ساترويت وهو يتذكر طرق الجزيرة الجبلية الخطيرة ، ولكن الفتاة اسرعت تقول :

ـ انها سيارة مستعملة قديمة لا يمكن ان تتحمل ثلاثة اشخاص في

طريق جبلي صاعد . يمكنك يادوقة ان تستأجري سيارة من جراج بالمدينة.
بالمدينـــة .

ــ استأجر سيارة ؟! يا للفضيحة !! ترى من ذلك السيد ذو الوجه الاصفر الجالس هناك ، والذى اقبل الان في سيارة بأربعة مقاعد ؟

ــ انه المستر توملينسون ، قاض هندي متقاعد .

ــ هذا هو سر صفرة بشرته . ولكن يبدو انه انسان لطيف مهذب . لسوف اتحدث معه .

وفي المساء وجد ساترويت الدوقة ، في ثوب من المخملَ الاسود ، المرصع بجميع جواهرها ، تتبادل الحديث في اهتمام مع صاحب السيارة ذات المقاعد الاربعة في بهو الفندق . ولما لمحتـــه ، اشارت اليه تدعــوه قائلــة :

ــ تعال يا مستر ساترويت . ان المستر توملينسون يحدثني عـــن اعجب الاشياء ، وفوق هذا ، فقد تطوع ليصحبنا في رحلة جبلية غــدا بسيارته .

ونظر ساترويت اليها في اعجاب شديد ، بينما اردفت هي قائلة :

ــ هلم الى طعام العشاء يا مستر ساترويت ، ويمكن للمستـــر توملينســـون ان يجلس الى مائدتنـــا ويستطرد في احاديثه الممتعــة عــن عجائب الهند .

واخـــيرا ، بعـــد العشاء ، وبعـــد انصراف المستر توملينسون ، قالت الدوقة :

ــ انه رجل لطيف مهذب .

ــ ويمتلك سيارة لطيفة مهذبة !

ــ يا خبيث !!

وضربته بطرف مروحتها على يده مداعبة ، ثم اردفت قائلة :

ــ وسوف تأتي نوامي ايضا ، في سيارتها . ان هذه الفتـــاة تحتاج الى من يأخذ بيدها ليخرجها من نطاق نفسها . انها انانية جدا ، لا تهتم بأحد ، ولا يهمها الا نفسـها .

ــ انني ارى الامر على النقيض ، اذ يخيل لي انها شديدة الاهتمـــام بشيء معين ، ولكنها تقف عاجزة ، لا تدري ماذا تفعل ، ولهذا فهي تسلك سلوك الانسان اليائس .

ــ اوه . لا تكن احمق يا ساترويت . دعك من الفتاة ، وانصت الي بشأن ترتيبات رحلة الغد .

وانصمت ساترويت ، لان الانصات كان الطابع الواضح في حياته .

وبداوا الرحلة في صباح اليوم التالي ومعهم طعام الغداء . واخذت نوامي على عاتقها ان تكون الرائدة والمرشدة لانها امضت في الجزيرة بضعة اشهر .

وذهب المستر ساترويت اليها وهي جالسة في سيارتها تنتظر وقال لها :

ـ هل انت واثقة بانك لا تستطيعين ان تسمحي لي بالركوب معك ؟

ـ انك ستكون اكثر راحة في السيارة الاخرى ذات المقاعد الوثيرة القوية ، اما سيارتي هذه ، فان من الخطر ركوبها في طريق جبلي وعر .

ـ ولكن اذا كنت ستركبينها ، فلماذا لا اركبها معك ؟

فنظرت اليه بامعان وقالت :

ـ ولماذا تركب معي ؟

هل يقول لها لانه يرى من تصرفاتها ، ومن اهمالها لنفسها ، ومن نظرات عينيها انها تفكر في الانتحار ، وانها قد تنتهز فرصة هذه الرحلة لتنتحر بطريقة تبدو للجميع انها مجرد حادث وقع بالقضاء والقدر ؟.

لا . انه لا يستطيع ان يصارحها بهذا ، لانه قد يكون مخطئا في تصوراته .

ولما راى ان الموقف سيتحرج ، قال :

ـ حسنا ، ربما تسمحين لي بالركوب في رحلة العودة .

وهنا ارسلت ضحكة عجيبة النبرات ، وقالت :

ـ نعم . نعم . في رحلة العودة ، اذا شاء لنا القدر ان نعود .

وبدات الرحلة . وانطلقت سيارة نوامي في المقدمة ، سريعة كالطائر ، وظلت السيارة الثانية تتبعها في الطريق الجبلي الصاعد دائما ، وكان الهواء يزداد برودة كلما امعنوا في الصعود حتى اصبح يهب عليهم قاطعا كحد السكين ، وفجاة اوقفت نوامي السيارة ونظرت وراءها ، ثم قالت :

ـ لقد وصلنا الى آخر الدنيا . واعتقد ان الجو سوف يضطرب بعد قليل .

وهبط الجميع بالقرب من قرية في قمة الجبل ، مكونة من عشرة اكواخ حجرية ، في مدخلها لافتة مكتوب عليها : « كوتي تشيافيري » . ولكن نوامي قالت :

ـ هذا هو اسمها الرسمي ، ولكنها تسمى بقرية « آخر الدنيا » .
وسارت خطوات قليلة حتى انضم اليها ساتروويت ثم توقفت امام حاجز جبلي ضخم وقالت :
ـ هذا هو نهاية الطريق الوحيد في القرية . وليس بعده شيء اي اننا الان في بداية ما لا تعرف نهايته . فالانسان في اي مكان في الدنيا يستطيع ان يختار الاتجاه الذي يواصل المسير فيه ، يمينا ، او يسارا ، أو اماما . ولكن الانسان في هذا الموضع لا يستطيع الا ان يعود ادراجه ، ولهذا سماه الاهالي : آخر الدنيا !
وتنفس المستر ساتروويت بعمق وقال :
ـ هذا مكان عجيب فعلا ، يمكن ان يحدث فيه اي شيء ، او يلتقي فيه بأي شخص ..
وتوقف عن الحديث فجأة حين لمح رجلا يجلس على صخرة ناتئة ينظر الى ناحية البحر الذي يبدو بعيدا . ولم يكن احدهما قد رآه من قبل في تلك المنطقة ، وكأنما هو انبثق فجأة من المناظر المحيطة بها .
وقبل ان يقول المستر ساتروويت شيئا ، اذا بالرجل يستدير نحوه ، واذا هو يقول :
ـ عجبا ! انه المستر كوين . دعيني يا مس كارلتون سميث اقدم اليك المستر كوين . انه اعجب شخصية عرفتها . اليس كذلك يا مستر كوين ؟ انك دائما تظهر في الوقت المناسب .
وتوقف فجأة وقد شعر انه يتحدث بعبارات لا معنى لها ؛ هذا بينما كانت نوامي تصافح المستر كوين وتقول له :
ـ اننا هنا في نزهة جبلية ، ولكن يبدو اننا سنموت جميعا متجمدين من البرد والثلج .
وقال المستر ساتروويت وهو يرتعد :
ـ ربما نستطيع ان نجد مكانا نحتمي به . ان المس كارلتون سميث تسمي هذا المكان اخر الدنيا .
ـ نعم . انه اسم ينطبق عليه فعلا . أهذه سيارتك يا مس كارلتون سميث ؟
ـ نعم . انها كما ترى صغيرة وعتيقة !
ـ ان قيادتها تحتاج الى براعة خاصة ، فان اقل خطأ في الانحراف ، او في استجابة الفرامل يؤدي الى انقلابها في احدى الهاويات .

ولما انضموا الى الدوقة والقاضي الهندي ، قدم المستر ساترويت صديقه اليهما ، ثم انفردت به المس كارلتون سميث وقالت له في حدة :
ــ من هذا الرجل ؟
ــ انني شخصيا لا ادري تماما ، لقد عرفته منذ اعوام ، ونحن نلتقي مصادفة بين الحين والاخر ، وفي ظروف عجيبة .
ــ ولكنه من الذين يعرفون الاسرار التي تنطوي عليها النفوس . هذا ما يبدو بوضوح ، فان نظراته نفاذة ..
ــ نعم . نعم . ان الانسان لا يسعه يا مس كارلتون سميث الا ان يخافه من نظراته .
وفي تلك اللحظة سقطت من الجو ندفة من الثلج على وجهه ، ثم اذا الجليد يتساقط في سرعة وغزارة جعلت الجميع يرحبون باقتراح المستر كوين حين قال انه يعرف كوخا حجريا في نهاية المنازل ، مخصصا لايواء السائحين الذين يفاجئهم الجو بتقلباته . وفي اثناء الطريق اليه ، قال :
ــ المعتاد ان يكون لدى السائح مؤونته من الطعام كما هو الشأن معكم ، ولكن صاحبة الكوخ تقدم للضيوف القهوة نظير اجر بسيط .
وكان الكوخ مكونا من غرفة موسطة الحجم ، لها نافذة صغيرة في جانب منها ، وفي الجانب الاخر مدفأة ضخمة تشع منها حرارة النيران . وكان ثمة امراة كورسيكية تغذي هذه النيران بحزم من الحطب الجاف .
وفي نهاية الغرفة ، امام طاولة خشبية ، كان ثمة ثلاثة اشخاص من السياح يحتمون ايضا بالكوخ من الصقيع المنهمر . كانوا رجلين وسيدة ، سيدة بدت كأنها دوقة حقيقية ، او نموذج للممثلة الاولى في مسرح عريق . طويلة القامة ؛ بلاتينية الشعر ، انيقة الملابس ، رائعة السلوك . كانت تعتمد بذقنها على يدها ، وتمسك بالاخرى شطيرة مستطيلة مستديرة . وعلى جانبها الايسر جلس رجل ناصع بياض الوجه ، رمادي الشعر ، يرتدي ملابسه السوداء باناقة بالغة ، ويضع على عينيه نظارة ذات اطار قرني . وعلى جانبها الايسر جلس رجل صغير الجسم ، خفيف الظل ، اصلع الراس ، لا يكاد يثير انتباه احد .
ومرت لحظات من الحرج ، ولكن الدوقة ، الدوقة الاصيلة ، بدات الهجوم بقولها وهى تتقدم لتجلس الى الطاولة الخشبية :
ــ يا لها من عاصفة ثلجية رهيبة ! لا شك انها فاجأتكم مثلنا . ولكن

كورسيكا على اي حال جزيرة جميلة ، لقد وصلت اليها امس .
ونهض الرجل الانيق الطويل في احترام ، وجلست الدوقـــة في مقعده شاكرة ، بينما قالت السيدة ذات الشعر البلاتيني :
ـ اننا هنا منذ اسبوع !
وكتم ساترويت انفاســه دهشـــة حين سمع السيدة وهي تنطق هذه العبارة البسيطة . لقد كان في نبرات صوتها ، وفي طريقة القائها ، مـــا جعل الكلمات تنبض بالحياة ، وبالسحر ، وبالجاذبية ، وكأنمـــا هي لا تتحدث بلسانها قبلها وانما من صميم قلبها .
واسرع ساترويت يقول للقاضي الهندي المستر توملينسون :
ـ ان الرجل الانيق ذا النظارة مخرج . كما تعلـــم . اسمه المستر فـــايز .
ـ ماذا يخرج ؟
ـ مسرحيات .
وفجأة قالت نوامي كارلتون سميث بصوت حاد عنيف :
ـ ان الجو هنا خانق ، سأخـــرج الى الهواء الطلـــق رغـم البـــرد والصقيـــع .
ولكن المستر كوين اعترض طريقها عند الباب وقال لها بهدوء وحزم :
ـ عودي الى مكانك واجلسي . .
وفوجيء المستر ساترويت بالفتاة تستكـــين للامر ، ثم تجلس الى طرف الطاولة ، في معزل عن الاخرين
وتقدم الى المخرج ، وجلس امامه وقال :
ـ لعلك لا تذكرني يا مستر فايز . ان اسمي ساترويت .
فمد المستر فايز وصافح ساترويت بقوة وقال :
ـ طبعا طبعا يا عزيزي . من كان يظن اننا سنلتقي هنا ؟ لا شك انك تعرف المس نان !
ودهش ساترويت . المس نان ! الممثلة القديرة المعروفة ؟ لا عجب اذن ان تكون رائعة الصوت ، بارعة الالقاء . اليست روزينا نان اشهـــر ممثلة في انجلترا ؟
وعاد المستر فايز يقول وهو يقدم الرجل الاخر الجالس على يسارها :
ـ المستر جود ، زوج المس نان .
وكانت روزينا نان قد تزوجت كثيرا . ولا شك ان هـــذا المستر جود

هو الزوج الاخير .

وكان الزوج مهتما بتقديم الطعام الى زوجته في عناية وشغف . ذلك ان المعروف ان المس نان من اللواتي يشغفن بالطعام ، وفي هذا الشأن قال فايز :

ــ انها تهيم بألوان الطعام . بل انها تعيش فقط لتأكل . انني في احيان كثيرة اذكر لها لونا محببا من الطعام قبيل قيامها بدور معين ، فاذا هي تقوم بالدور كأروع ما تكون .

وسمع الرجلان المس نان وهي تقول لزوجها :

ــ ولكن اين الكافيار ؟ انني لم اره منذ دخلنا هنا .

ــ انك توشكين على الجلوس فوقه . فانه وراءك على المقعد !

فتناولته بسرعة في ابتهاج وهي تقول :

ــ اوه . انك تعرفين يا عزيزتي انني كثير النسيان والشرود . انني قلما اعرف اين وضعت اشيائي !

ــ نعم . كما وضعت ذات يوم مجموعة لآلئك في كيس اسفنجة الحمام . وما اكثر البرقيات والمكالمات التليفونية التي تبادلتها مع الفندق حتى استرددناها .

فقالت المس نان بصوت حالم :

ــ على كل حال كانت هذه اللآلىء مؤمنا عليها . ولكن جوهرتي الاوبال الزمردية لم أؤمن عليها للاسف .

وفجاة احس المستر ساترويت انه ، مرة اخرى ، يعيش في احدى مسرحيات الحياة ، وانه ، مع المستر كوين ، يقومان بدورهما فيها . ومن ثم شعر ان كلمة « الاوبال » هي مفتاح دوره ، فانحنى الى الامام وقال :

ــ جوهرتك الاوبال يا مس نان ؟

ــ هل اعددت الزبد يا هنري ؟ آه . نعم . جوهرتي الاوبال . لقد سرقت مني كما تعلم . ولم استردها بعد .

ــ اوه . حدثينا بهذا الموضوع يا مس نان .

ــ آه . نعم . لقد ولدت في شهر اكتوبر ، ولهذا فان من الفال الحسن ان اتزين بجواهر الاوبال . ومن ثم اشتريت جوهرة مفرطحة على شكل القلب من اندر الانواع واصفاها . ولشد ما كانت بهجتي حين استطعت ان اظفر بها بعد الصبر الطويل .

وتنهدت في عمق ، وكان الجميع ينصتون اليها مبهورين بالقائها

وجمال نبرات صوتها . وبعد برهة من الصمت ، اردفت تقول :
ــ وسرق هذه الجوهرة النادرة مني شاب يدعى جيرارد ، كان يكتب الروايات المسرحية .
فقال المستر فايز :
ــ وهي روايات جيدة فعلا . وقد كدت ان اخرج احداها قبل الحادث .
وقالت المس نان :
ــ نعم . كان فيها دور رائع لي . وكان اسمها « ارلاد راشيل » . وقد جاء الى غرفتي بالمسرح ليتبادل معي الحديث بشأنها . وكان شابا لطيفا خجولا وسيم الوجه ، في عينيه نظرات شاردة تنم على روح شاعرية وخيال واسع . مسكين . وكانت الجوهرة موضوعة في علبتها على منضدة الزينة . وكان هو خبيرا في هذا النوع من الجواهر ، لانه سافر ذات يوم الى استراليا . ومن ثم تناولها وفحصها في الضوء ، ويبدو انه نسي نفسه ووضعها في جيبه . ولما انصرف ولم اجدها ، ابلغت رجال البوليس ، وكان لهذا الحادث ضجة كبيرة في مختلف الصحف . حتى ان المستر فايز قال ان هذا الحادث كان اوسع دعاية مجانية حدثت لي !
وقال فايز :
ــ نعم . نعم . كانت دعاية رائعة .
ــ ووجدت علبة الجوهرة فارغة في مسكنه ، وثبت انه كان يعاني ازمة مالية عنيفة ، ومع ذلك فقد ثبت ايضا انه وضع لحسابه في البنك مبلغا كبيرا وقد زعم انه لا بد قد وضع العلبة في جيبه سهوا ، وان صديقا لعب على جواد رابح لحسابه ووضع الارباح في رصيده بالبنك . ولكنه لم يستطع ان يذكر اسم هذا الصديق ، او ان يدلي بمحل اقامته . وهكذا صدر الحكم عليه بالسجن خمسة اعوام ، امضى منها الان ثمانية اشهر .
وبعد ان ساد الصمت برهة وجيزة ، قالت المس نان فجأة :
ــ اين علبة الخوخ المحفوظ يا هنري ؟
فقال زوجها هنري جود :
ــ انها في حقيبة حاجاتك .
وتناولت الممثلة الكبيرة حقيبة حاجياتها وراحت تفرغ ما فيها من الوان واصناف حتى عثرت على علبة الخوخ المحفوظة . وكان بين الاشياء

التي افرغتها من الحقيبة على الطاولة صندوق هندي مسحور ، قالت عنه حينما تناوله القاضي الهندي المستر توملينسون وراح يفحصه :

ـ هذا صندوق من النوع المسحور . من اين جئت به يا مس نان ؟

ـ هدية من احد المعجبين ! وانا اضعه دائما على منضدة الزينة في غرفتي بالمسرح رغم انه ليس رائع الشكل .

فضحك المستر توملينسون وقال :

ـ ربما لا يكون جميلا ، ولكنني اراهن انك لا تعرفين سره . هل تحبين ان اطلعك على طريقته السرية ؟

وقال الجميع :

ـ نعم . نعم . نريد ان نرى .

وكان للصندوق في اعلاه مفتاحان صغيران كأنما حليتان . فضغط المستر توملينسون على احد المفتاحين ، فانفتح الصندوق ، ثم طلب من احد الحاضرين ان يضع قطعة جبن من النوع المغلف فيه . ثم اغلق الصندوق ، وضغط على المفتاح الاخر ، ثم عاد وفتح الصندوق ، واذا قطعة الجبن تختفي .

وسرت همهمة الدهشة من الجميع ، ولكن المستر توملينسون اغلق الصندوق مرة اخرى ، ثم جعله في وضع مقلوب ، وضغط على مفتاح اخر جانبي يشبه حلية منقوشة ، ثم اعاده الى وضعه الصحيح وفتحه .

وشهق الجميع .

لقد رأوا مع قطعة الجبن ، جوهرة من حجر الاوبال الازرق مفرطحة على هيئة القلب . وصاحت المس نان في دهشة :

ـ جوهرتي الغالية . يا الهي ! يا للهول !

وتنحنح زوجها هنري وقال بصوت مضطرب :

ـ لا شك انك وضعتها في الصندوق السحري سهوا ، وضغطت على المفتاح الثاني فاختفت دون ان تعلمي .

ـ نعم . نعم . لا شك في هذا . ولكن المهم ان الشاب اليك جيرارد لم يسرقها ، اي انه مسجون الان ظلما .

وهنا نهضت نوامى كارلتون سميث ، وقالت بصوت شاحب :

ـ اتعرفين من يكون اليك جيرارد بالنسبة لي ؟ انه خطيبي ، وحبي ، وقلبي ، وقد كدت من فرط اليأس ان انتحر اكثر من مرة .

قالت هذا واندفعت الى خارج الكوخ باكية ، فلحق بها المستر كوين

والمستر ساترويت ، وكانت العاصفة الثلجية قد هدات ، وانقطع سقوط ندف الجليد .

وقال المستر كوين وهو ينظر الى السماء الصافية :

ـ حسنا . اعتقد انه ينبغي لي ان انصرف الان !

فنظرت نوامي في دهشة اليه وقالت :

ـ ولكن . ماذا عن خطيبي جيرارد ؟

ـ لا شك انه سيطلق سراحه بالتلغراف اليوم و ..

ـ وماذا ؟

ـ ولا شك ان المس نان ستعرف كيف تعوضه ادبيا وماديا .

ولما تحرك بعيدا ، قال المستر ساترويت :

ـ الي اين هو ذاهب ؟

فقالت نوامي بصوت غريب :

ـ من حيث جاء على ما اظن !

ـ ولكن ليس هناك طريق مفتوح . لقد قلت بنفســـك اننا في اخر الدنيـــا .

وهزت نوامي كتفيها ، فقال لها ساترويت :

ـ والآن . هل ستسمحين لي بالركوب معك في رحلة العودة ؟

وهنا ، ولاول مرة ، اشرق وجهها سرورا وابتهاجا وقالت :

ـ طبعا ، طبعا . فانا الان واثقة بأننا سنصل الى الفندق بلا احداث مفاجئة في الطريق .

الفصل الثامن

ذات الوعاء الفضي

سار المستر ساترويت متمهلا في شارع بوند ستريت ، مستمتعا بضوء الشمس ، في طريقه الى معرض هاركستر للصور الفنية ، حيث كان الرسام العبقري الجديد فرانك بريستو يعرض اول مجموعة من لوحاته الفنية .

وفيما هو يدخل الى ردهة المعرض ، حياه احد المشرفين على المعرض قائلا :

ـ طاب صباحك يا مستر ساترويت، لقد كنا نتوقع حضورك يوما بعد اخر ، ولا شك انك ستعجب بهذا الفنان الجديد اشد الاعجاب .

ومضى المستر ساترويت الى قاعة العرض الواسعة المستطيلة التي

علقت اللوحات المعروضة على جدرانها الاربعة ، وراح في اعجاب واضح يتأمل اللمسات الفنية الاصيلة البادية في خطوط كل لوحة على انفراد . وتوقف برهة امام لوحة تمثل جسر وستمنستر بما عليه من مارة وسيارات خاصة وعامة ، ومركبات مختلفة الانواع ، وكان الفنان قد اطلق على هذه اللوحة اسم « مستعمرة النمل » . ثم تحرك الى اللوحات الاخرى حتى توقف امام لوحة جعلته يتسمر في مكانه وهو يجذب نفسا عميقا .

وكانت اللوحة تسمى « وفاة المهرج » وكانت ارضيتها ، او الجزء الامامي منها ، تمثل ارضية شرفة كبيرة ذات بلاط من اللونين الابيض والاسود ، وفي وسطها رقدت جثة مهرج ميت في ملابسه الحمراء والسوداء ، وقد مد ذراعيه على جانبيه ، وفي الجزء الخلفي من اللوحة ، جدار جانبي للشرفة الكبيرة ، فيه نافذة زجاجية ، ومن وراء النافذة بدا وجه ينظر بهدوء الى « المهرج الميت » .

واعجب ما في الصورة ان التشابه كان واضحا بين الوجه الذي كان ينظر من وراء النافذة وبين وجه « المهرج الميت » وكأنما اراد الفنان ان يرمز لروح الميت حين ترقب الجسد بعد انفصالها عنه .

ولكن الشيء الذي اثار انفعالات المستر ساترويت ، هو انه عرف ، او خيل اليه انه عرف « وجه المهرج الميت » . لانه كان يشبه الى حد كبير وجه صاحبه ذلك الرجل الخفي ، المستر كوين ، الذي كان يظهر في حياته ويختفي في اوقات معينة .

وقال لنفسه متعجبا :

ـ انني لست مخطئا بالتأكيد ! فما معنى هذا ؟

ذلك ان تجارب المستر ساترويت اكدت له ان كل مرة يرى فيها المستر كوين ، لا بد وان يكون وراء ظهوره سبب معين .

وكان ثمة شيء اخر قد اثار اهتمامه باللوحة ، ذلك انه عرف المكان الذي صوره الفنان بريشته ، ومن ثم عاد يقول لنفسه :

ـ انها الشرفة الكبيرة في قصر اللورد شارنلي .. عجبا ! عجبا !

وبعد ان شاهد جميع اللوحات المعروضة ، ذهب الى مدير المعرض ، المستر كوب ، وقال له بعد ان تبادل التحية معه :

ـ بودي ان اشتري اللوحة رقم ٣٩ ، اذا لم يكن احد قد سبقني الى شرائها !

فقال المستر كوب بعد ان راجع دفتره :

ــ اوه ، لقد عرفت كيف تختار يا مستر ساترويت . كلا لم يشترها احد ، انها فعلا تحفة ، واعتقد انك بعد عام ستجد من يعرض عليك ثلاثة اضعاف ثمنها .

ــ هذا ما تقوله لي دائما يا مستر كوب ، اليس كذلك ؟

فابتسم الرجل وقال :

ــ وهل تراني خدعتك ذات مرت ؟ الم يصدق حدسي دائما ؟

ــ نعم ، نعم ، اعترف بهذا . حسنا . سأكتب لك الان صكا بثمن اللوحة .

ــ انك لن تندم على هذا ، فان بريستو فنان سيخلد التاريخ اسمه !

ــ اهو لا يزال في مرحلة الشباب ؟

ــ انه في السادسة او السابعة والعشرين من عمره .

ــ انني ارغب في مقابلته ، ولعله يقبل دعوتي له بتناول العشاء معي الليلة .

فأومأ المستر كوب براسه وقال :

ــ سأعطيك عنوانه ، ولا شك انه سيبتهج بهذه الدعوة ، لانك معروف للجميع وكواحد من انصار الفن والفنانين .

فقال المستر ساترويت وهو يهم بالانصراف :

ــ انك تمتدحني اكثر مما استحق ..

وقاطعه المستر كوب فجأة قائلا :

ــ ها هو ذا قد حضر ، لسوف اقدمك له فورا .

ونهض عن مكتبه ، وشرع يقدم المستر ساترويت الى الفنان الشاب الوسيم ذي الجسم الكبير والوجه الحالم . وبعد التعارف ، قال المستر ساترويت :

ــ كان لي شرف شراء لوحتك الرائعة « وفاة المهرج » .

فابتسم الفنان الشاب وقال :

ــ اعتقد انك لن تخسر كثيرا من شراء هذه اللوحة . اعتقد انها جيدة وان كان لا ينبغي ان اقول هذا .

ــ بل هذه هي الحقيقة يا مستر بريستو ، واني شديد الاعجاب

بلمساتك الفنية ، واني لارجو ان تشرفني بقبولـك دعوتي لتناول العشـاء معي الليلة اذا لم تكن مرتبطا بموعد سابق .

ــ الواقع اني غير مرتبط بموعد الليلة ، ومـن ثـم يسرني ان اقبـل دعوتك .

ــ اذن هل انتظرك الساعة الثامنة مساء . هـذه بطاقتي وعليـها العنوان .

ــ اوه .. حسنا ، وشكرا جزيلا .

وقال ساترويت لنفسه وهو ينصرف :

« انه شاب عبقري لطيف .. ولكنه كما يبدو خجول لا يعـرف قدر نفسه » .

ووصل فرانك بريستو في الثامنة وخمس دقائق مساء حيث وجـد لدى المستر ساترويت ضيفا اخر ، هو الكلونيل مونكتون . ومضى الثلاثة فورا الى مائدة العشاء حيث كان ثمة مقعـد رابع خال قال عنـه المستر ساترويت :

انني انتظر حضور صديق لي يدعى المستر كوين .. هارلي كوين ، هل تعرفه يا مستر بريستو ؟

فاضطرم وجه الفنان الشاب وقال مرتبكا :

ــ الواقع انه هو الذي اوحى الي بفكرة لوحة « وفاة المهرج » وكان طبيعيا ان ياتي الشبه مماثلا بينه وبين وجه المهرج .

وكان الكلونيل مونكتون يتامل الفنان الشاب كانـه « نوع جديد من الاسماك النادرة » ، هذا بينما كان المستر ساترويت يقول :

ــ الواقع ان هذا الشبه هو الذي حفزني على شراء اللوحة ، كمـا انني اعرف المكان الذي صورته فيه ، انها الشرفة الكبـيرة في قصر اللورد شارنلي ، أليس كذلك ؟

فلما أومأ الفنان براسه ، استطرد ساترويت يقول :

ــ لقد نزلت في ضيافة اللورد شارنلي بضع مرات قبل مأساتـه ، ولعلك تعرف بعض افراد اسرته .

فقطب بريستو جبينه وقال :

ــ يؤسفني اني لم اعرف احدا في هذه الاسرة ، ولكن المستر كوين هو الذي اقترح علي رسم هذه الصورة هناك .

وبعد لحظات من حديث عادي ، قال المستر ساترويت :

ــ ان قصر شارنلي من القصور التي تستهوي الناس لزيارتها . وقد زرته مرة واحدة بعد المأساة .

وقال بريستو :

ــ نعم . انه قصر تاريخي يحيط به جو من الغموض والاسرار .

وقال الكلونيل مونكتون :

ــ يقال ان فيه شبحين لا شبحا واحدا . شبح الملك تشارلس الاول يجوب انحاءه وهو يحمل رأسه تحت ذراعه ، ولا ادري لماذا ! وشبح السيدة ذات الوعاء الفضي التي يقال انها ترى دائما بعد وفاة احد افراد اسرة شارنلي .

وغمغم بريستو متهكما :

ــ خرافات !

وقال المستر ساترويت بسرعة :

ــ انها اسرة سيئة الطالع . فقد مات اربعة من حاملي اللقب ميتة شنيعة . واخيرا مات اللورد شارنلي منتحرا .

وقال الكلونيل في اسى :

ــ كانت مأساة مؤلمة ، وكنت هناك عندما وقعت .

وقال ساترويت :

ــ آه ، نعم ، كم مضى عليها الان ؟ نحو اربعة عشر عاما . ولا يزال القصر مهجورا منذ ذلك الحين .

وقال الكلونيل :

ــ انني لا اعجب لهذا ، فلا شك ان المأساة كانت صدمة قاسية على عروس اللورد الشابة التي لم تكن تجاوزت السابعة عشرة ، والتي لم يكن قد مضى على زواجها باللورد اكثر من شهر ، وكان اللورد شارنلي قد عاد معها بعد شهر العسل ، واقام حفلة تنكرية راقصة احتفالا بهذه المناسبة ، وبينما كان المدعوون يتوافدون ، اذا باللورد الشاب يدخل الى الغرفة المسماة « قاعة السنديان » ويغلقها على نفسه ، ثم ينتحر . وكان الحادث شاذا لا يكاد يصدقه احد .. آه ، ماذا تقول ؟

والتفت بسرعة نحو اليسار ، ثم نظر الى المستر ساترويت ، ثم ضحك وهو يقول معتذرا :

ـ يبدو ان ذكرى المأساة اثرت على اعصابي ، فقد خيل الي اني سمعت شخصا يحدثني من هذا المقعد الخالي !

واستطرد في حديثه الاول قائلا :

ـ كانت الصدمة عنيفة على عروس اللورد ، اليس شارنلي ، وكانت يومذاك من اجمل الفتيات اللائي يمكن ان يراهن الانسان في اي مكان . كانت من النوع المتلىء بحب الحياة ، وبالرغبة في الارتواء منها . ولكنها الان تعيش كالشبح . انني لم ارها منذ اعوام ، واعتقد انها تعيش خارج البلاد معظم الوقت .

ـ والابن ؟

ـ انه في كلية ايتون . ولا يدري احد ماذا سيفعل حين يبلغ سن الرشد ، انني لا اعتقد على كل حال انه سيعيد فتح ابواب القصر .

وهنا نهض المستر ساترويت وقال :

ـ هلم الى غرفة التدخين ، فان لدي مجموعة من الصور الفوتوغرافية لقصر شارنلي واحب ان اطلعكم عليها .

وكان من بين هوايات ساترويت هواية تصوير منازل وقصور اصدقائه من الداخل . وقد الف في هذا الموضوع كتابا سماه « بيوت اصدقائى » وقد ابتهج اصدقاؤه بهذا الكتاب وراحوا يتفاخرون باقتنائه.

وقال وهو يسلم برستو احدى الصور :

ـ هذه صورة الشرفة الكبيرة ، وقد التقطتها في العام الماضي من نفس الزاوية التي رسمت منها صورتك . اترى هذه السجادة الصغيرة في جانب من الشرفة ، انها سجادة رائعة . كنت اتمنى لو استطعت ان التقطها بشريط ملون .

فقال برستو :

ـ اننى اتذكرها ، انها رائعة اللون حقا ، كأنها قطعة من النار المتوهجة ، ولكننى الاحظ ان وضعها على ارضية هذه الشرفة الواسعة لا يتلاءم مع الذوق السليم ، لانها صغيرة جدا بالنسبة لاتساع الشرفة ، حتى بدت كأنها بقعة ضخمة من الدماء على الارضية ذات اللونين الابيض والاسود . بل قد خيل الي ان وضع هذه السجادة النارية في ذلك المكان يوحي بقسوة المأساة التي حدثت في «قاعة السنديان » المؤدية اليها .

وقال الكلونيل :

ـ قاعة السندبان ! آه ، نعم . انها القاعة المسكونة بالشبح . ويقال ان بين الواح جدرانها لوحا بالقرب من المدفاة يخفي وراءه مخبأ سريا ، كما يقال ان تشارلس الاول لجأ الى هذا المخبأ السري ذات مرة . ويقولون ايضا ان اثنين ماتا فيها اثناء المبارزة بالمسدسات . نعم ان ريجي شارنلي انتحر في هذه القاعة نفسها .

ثم تناول الصورة من يد بريستو واردف قائلا وهو يتأملها :

ـ عجبا ، انها السجادة العجمية الحمراء الرائعة التي قيل انها تساوي اكثر من ثلاثة آلاف جنيه . وعندما كنت هناك ، قبيل الحفلة ، لاحظت انها كانت موجودة في قاعة السنديان ، وهي فعلا مناسبة لهذه القاعة . ولا ادري من نقلها من القاعة الى هذه الشرفة الواسعة ذات الارضية الرخامية !

ونظر المستر ساترويت الى المقعد الخالي الذي كان قد وضعه الى جانب مقعده ، ثم قال في شرود ذهن :

ـ نعم ، من نقلها ، ومتى ؟

فقال الكلونيل :

ـ اعتقد انها نقلت من الغرفة الى الشرفة في نفس يوم المأساة ، لانني اتذكر ان شارنلي حدثني عنها وهي لا تزال في الغرفة ، وقال انه يفكر في الاحتفاظ بها داخل خزانة زجاجية جيدة التهوية .

وقال ساترويت :

ـ لقد اغلقت ابواب القصر بعد المأساة مباشرة ، وقد بقي كل شيء في مكانه منذ ذلك الحين .

وفجأة قال بريستو متسائلا :

ـ لماذا اطلق اللورد شارنلي الرصاص على نفسه ؟

فتململ الكلونيل مونكتون في مقعده وقال :

ـ لا احد يعرف السبب .

وهنا قال المستر ساترويت :

ـ انني اظن ان الامر انتحار !

فنظر الكلونيل اليه مندهشا وقال :

ـ تظنه انتحارا ؟ عجبا ! انه انتحار طبعا يا عزيزي . لقد كنت

موجودا في القصر عندما وقعت المأساة .

ونظر ساترويت الى المقعد الخالي وابتسم لنفسه وكأنما يضحك من فكاهة خاصة لا يعرفها احد ، ثم قال :

ـ ان الانسان احيانا يرى بوضوح بعض الجوانب التي كانت غامضة اذا مرت عليها اعوام كثيرة .

فقال الكلونيل معترضا :

ـ هراء ! هراء تام . كيف يستطيع الانسان ان يرى بوضوح اشياء كانت غامضة بعد مرور اعوام كثيرة ؟

وايد المستر بريستو راي المستر ساترويت بقوله :

ـ انني ادرك ما تعنيه . ويمكنني القول انك على حق . فالمسألة تتعلق بما نسميه التوازن او حسن التقدير اذا شئت ، او التناسب والنسبية وما الى هذا .

فقال الكلونيل وهو يتلفت حوله بعنف :

ـ اذا سألتني عن رايي ، فأنا لا اؤمن بهذه النظريات الغامضة ، ولا بما يقال عن تحضير الارواح او ظهور الاشباح . والمهم ان ما حدث كان انتحارا . لقد شاهدت الحادث بنفسي على وجه التقريب .

فقال ساترويت :

ـ حدثنا به اذن حتى نراه بعينيك .

فغمغم الكلونيل بكلمات غامضة ، ثم اعتدل في مقعده وابتدا الحديث قائلا :

ـ كان الحادث كله شاذا غير متوقع . فقد كان شارنلي في حالته العادية ، وكانت الحفلة تضم عددا كبيرا من المدعوين ، ولم يكن احد يتوقع ابدا ان يمضي اللورد الشاب شارنلي ويطلق الرصاص على نفسه اثناء توافد المدعوين على القصر .

فقال ساترويت :

ـ كان من حسن الذوق على الاقل ان ينتظر انصراف المدعوين من الحفلة ثم ينتحر اذا اراد !

ـ طبعا ! من فساد الذوق ان يفعل انسان شيئا كهذا ايا كانت الظروف .

ـ ولم يكن اللورد شارنلي معروفا بفساد الذوق ؟

ـ نعم ، بل كان على النقيض ، كان رجلا سليم الذوق مهذب السلوك الى ابعد حد .

ـ ومع ذلك فانت لا تزال مصرا على ان الحادث انتحار ؟!

ـ طبعا ، طبعا ! لقد كنا ثلاثة او اربعه على راس السلم داخل القصر، انا ، والانسة استراندر ، والجي وارسي ، وواحد او اثنـــان آخران . واجتاز شارنلي الردهة الواقعة تحتنا في طربقــه الى « قاعة السنديان » . وتقول الانسة استراندر ان وجهه كان شاحبا مكتئبا ، وان اليأس كان يطل من عبنيه ، ولكن هذا كله لغو فارغ ، لانه لم بكن في مقدور احدنـــا ان برى وجهه من مكاننا المرتفع . وكل ما في الامر انه كان يسير حقا محني الفامة . كأنما يحمل على عاتقه هموم الدنيا . ونادت عليه فتـــاة مـــن المدعوات ، وكانت وصيفة سيدة من سيدات المجمع ، وكانــت الليــدي شارنلي قد دعتها مع سيدتها بدافع من العطف ، وكانت هذه الفتاة تبحث عنه لتبلغه رسالة شفوية ، فلما رأته في الطريق الى « قاعة السنديان » نادت عليه قائلة « لورد شارنلي .. ان الليدي شارنلي تريد ان تعرف .. » ولكنه لم يحفل بها ، ودخـل الغرفة ، وصفــق الباب وراءه ؛ وسمعنـــا صرير المفتاح وهو يغلق الباب على نفسه من الداخل ، ثم اذا نحن ، بعد لحظة ، نسمع دوي الطلقة النارية . واندفعنا الى الردهة ، وكان ثمة باب اخر « لقاعة السندبان » يؤدي الى الشرفة الكبيرة . ولكننا وجدنـــا هذا الباب مغلقا ايضا من الداخل : فاضطررنا الى نحطبمه . وهناك ، عـــلى ارضية القاعة ، وجدنا اللورد شارنلي جثة هامدة والمسدس بالقرب من يده اليمنى . فكيف يمكن ان بكون الحادث شيئا غير الانتحار ؟ ان هناك احتمالا اخر فقط ، وهو جربمة القتل ! ولكن هل هناك جريمة فتل بغير قاتــل ؟

فقال ساترويت :

ـ ربما هرب القاتل ؟

ـ هذا هو المستحيل . لان قاعة السنديان ليس لها غير بابين فقط ،

باب يؤدي الى الردهة ، وهو الذي دخل منه اللورد شارنلي واغلقه من الداخل على مسمع منا . وباب يؤدي الى الشرفة الكبيرة ، وقد وجدناه مغلقا ايضا من الداخل بالرتاج والمفتاح .

ـ والنافذة ؟

ـ كانت مغلقة تماما من الداخل ايضا .

وبعد برهة من الصمت قال الكلونيل :

ـ هذه هي المسألة كلها !

فقال سانرويت :

ـ انها كذلك كما تبدو للجميع . ولكن ..

وعاد الكلونيل يقول :

ـ وبمناسبة الحديث عن الاشباح ، يمكنني ان اقول ان الشائعات تدور حول قاعة السنديان هذه ، ويقال انها مسكونة بالاشباح ، وان على جدرانها الخشنة كثيرا من الثقوب الناشئة من رصاص المبارزات ، وان كثيرا من المتبارزين ماتوا فيها ، وان دماء بعضهم تأبى ان تزول من الارضية رغم تغيير الاخشاب بغيرها . ولا شك ان هناك الان بقعة دماء اخرى ، هي دماء المسكين شارنلي .

فقال المستر سانرويت :

ـ هل نزفت منه دماء كثيرة ؟

ـ لا ، قليلة ، وقد عجب الطبيب لهذا .

ـ واين اطلق الرصاص على نفسه ؟ على رأسه ؟

ـ لا ، بل على قلبه .

فقال بريستو :

ـ ليست هذه هي الطريقة السهلة للانتحار . فان اطلاق الرصاص على القلب يسبب آلاما شديده ، وقد يجعل المنتحر ينعذب قبل ان يلفظ انفاسه ، ودلك بعكس اطلاق الرصاص على الراس الدي يؤدي الى الموت في الحال .

وقال سانرويت :

ـ بمناسبة ما يقال عن اشباح القصر ، هل رايت يا كلونيل ما يؤيد هذه الشائعات ؟

فقال الكلونيل بلهجة تاكيد :

ـ لا . ولكنني اظن ان جميع خدم القصر يؤكدون انهم رأوا شبح السيدة ذات الوعاء الفضي .

ثم اردف قائلا :

ـ وانا ارجو الان يا سانرويت ان تكون قد تاكدت ان الامر انتحار .

ـ نعم ، نعم . ولكن هذا لا يمنع الانسان من التفكير في شذوذ هذا التصرف . فلماذا مثلا ينتحر شاب موفور الثراء ، رفيع المقام ، حديث العهد بالزواج ، في نفس الليلة التي يحتفل فيها بعودته مع عروسه الى قصره بعد شهر العسل ؟

وقطب جبينه واردف قائلا :

ـ ولكنه مع هذا مات او انتحر ، وتلك هى الحقيقة التي لا مفر من

الاعتراف بها .

وقال الكلونيل :

ــ لقد ترددت شائعات كثيرة، كل انواع الشائعات ، طبعا .

ــ ولكن الحقيقة لم يعرفها احد بعد !

ــ نعم .

واعجب من هذا ان احدا لم يستفد من وقوع هذا الحادث !

ــ نعم . فيما عدا الجنين الذي كانت تحمله العروس وهي لا تدري .

ثم ارسل ضحكة تهكمية واردفه قائلا :

ــ والواقع ان مولد هذا الطفل جاء ضربة قاضية لآمال المسكين هيجو شارنلي شقيق اللورد شارنلي المتوفي . فبمجرد ان ثبت ان عروس اللورد حامل ، راح ينتظر ثمانية شهور ليرى هل سيأتي المولود ذكرا ام انثى ، فلو انه جاء انثى ، لورث هيجو لقب اخيه وثروته كلها ، ولكن شاء القدر ان يأتي المولود ذكرا ، وان تضبع آمال هيجو ومن معه .

ــ وماذا كان موقف الارملة الشابة ؟

ــ يا للمسكينة ! انني لم انس منظرها . انها لم تبك او تنهار ، وانما بدت كأنها تجمدت واصبحت كتمثال بلا روح . وقد اغلقت ابواب القصر بعد المأساة كما عرف الجميع ، واكبر الظن انها لن تعود للحيـــاة في جوانبه يوما !

وابتسم بريستو قائلا :

ــ لا شك ان وراء هذه المسألة امراة في حياة اللورد شارنلي ، او رجلا

في حياة ارملته .

فقال ساترويت :

ـ هذا ما يبدو .

وقال الكلونيل :

ـ ولكن المرجح جدا انها امراة في حياة اللورد ، لان الارملـــة لم تتزوج بعده .

وهنا قال بريستو بحماس :

ـ ايا كان الامر ، فاني اكره النساء بوجه عام ، انهن السبب في كل مأساة من هذا النوع ، واعترف انى لم التق في حياتي بامـرأة اثـــارت الي وأسرت عواطفي الا مرة واحدة ، وقد التقيت بها مصادفة في اثنـاء عودتي من رحلة في شمال انجلترا .

فقال ساترويت :

ـ نعم ، نعم . ان اكثر قصص الغرام بدأت بمثل هذا اللقـاء في القطارات .

ـ جلسنا في مقصورة واحدة بمفردنا ، وبدانا نتحـدث معا منـــذ اللحظـة الاولى ، واعتقد ان شيئا من العواطف المتبادلـة ربطت بيننا منذ اللحظة الاولى ايضا ، وانا لا اعرف اسمها ، بل لا اظن اني سألتقي بها مرة اخرى . واعتقد ان الشيء الذي اثار عواطفي نحوها ، ذلك الطابع الروحي العجيب الذي كان يغلفها ، لقد بدت لي كأنها امراة خرجت من صفحات احدى الاساطير .

وأومأ ساترويت براسه وهو يدرك ان فنانا مثل بريستـو لا بد ان يتأثر بامراة من هذا النوع ، اما بريستو ، فقد استطرد قائلا :

ــ ويبدو لي ان السر في هذه الروحانية التي تميزت بها انها اصيبت في مستهل شبابها بصدمة رهيبة جعلتها تحاول الفرار من دنيا الواقع الى عالم الخيال .

ــ وهل ذكرت لك شيئا من ماساتها ؟

ــ لا ، ولكنني استنتجت هذا . فان على الانسان ان يلجأ الى الاستنتاج احيانا لكي يصل الى الحقيقة اذا اراد .

فقال ساترويت ببطء وبلهجة لها دلالتها :

ــ نعم . ان على الانسان ان يلجأ الى الاستنتاج احيانا .

وفي تلك اللحظة فتح الخادم الباب وقال له :

ــ ان سيدة تريد مقابلتك يا سيدي لامر هام . انها المس اسباسيا جلين .

ونهض ساترويت بسرعة مندهشا . لقد كان يعرف من هي اسباسيا جلين . انها ممثلة مشهورة في انحاء لندن ، وقد اطلق عليها النقاد اسم « السيدة ذات المنديل » لانها برعت في تمثيل ادوار كثيرة بمنديل واحد ، اذ جعلته مرة غطاء للراس في دور ريفية . ومرة « كاب » ممرضة ، ورابعة مطرف بائعة لبن وعشرات اخرى من هذه الادوار .

ولكنه لم يكن يعرفها شخصيا ، فلماذا تريد ان تقابله ؟

ومضى اليها حيث كانت جالسة في غرفة الاستقبال في وضع مشير ينم على شدة اعتدادها بنفسها وقوة ثقتها في جمالها ، وعمق تأثير شخصيتها في الغير . وكانت طويلة خمرية اللون في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها ، ولكن جمالها المذهل جعلها تبدو اصغر من هذا السن .

قالت له بصوتها الجذاب :

ـ انني اعتذر لك عن هذه الزيارة المفاجئة يا مستر ساترويت ، ولولا ان الامر لا يحتمل التأخير ، لطلبت تحديد موعد من قبل .

ثم اردفت قائلة :

ـ والواقع انني كنت اريد ان اتعرف بك منذ مدة طويلة ، ومن ثم فاني مبتهجة بهذه الظروف التي دفعتني للحضور . والواقع اني اذا أردت شيئا ، فاني احب الحصول عليه فورا ، لاني لا اطيق الانتظار .

فقال ساترويت :

ـ ايا كان السبب الذي دفعك الى الحضور ، فاني سعيد به يا مس جلين ، واني انتهز هذه الفرصة لاعرب لك عن اعجابي الشديد بمواهبك .

فنظرت اليه باسمة ، وقالت بعد ان شكرته :

ـ اما عن سبب حضوري فهو لوحة « وفاة المهرج » . لقد شاهدتها اليوم في معرض هاركستر ، ولما اردت شراءها بأي ثمن ، قال لى المدير انك سبقتني الى شرائها ...

ثم توقفت برهة عن الحديث قبل أن تردف قائلة :

ـ والواقع اني اريد هذه اللوحة ، وبأي ثمن يا مستر ساترويت ، وقد احضرت معي دفتر الشيكات ، وسوف اترك لك تحديد الثمن الذي تريده .

ونظر ساترويت برهة الى الممثلة وهو يشعر في قرارة نفسه بنفور شديد من اساليبها المكشوفة للحصول على ما تريد . انها لم تعد في نظره امرأة جميلة او ممثلة قديرة ، وانما مخلوقة انانية مصممة على ان

نظفر بكل ما تهفو اليه نفسها . ولهذا قرر الا يتنازل لها عن هذه اللوحة ، بأي ثمن ايضا ؛ وراح يفكر بسرعة في انسب عذر يقدمه اليها وهو يرفض تحقيق رجائها ، فقال :

ـ انني واثق انه لا يوجد الانسان الذي يرفض ان يحقق لك رجاء ، ايا كان يا مس اسباسيا جلين .

ـ اذن فسوف تعطيني اللوحة ؟

فهز ساترويت راسه وقال بحزن مصطنع :

ـ يؤسفني القول ان هذا مستحيل ، لاني اشتريت هذه اللوحة لكي اهديها لسيدة ..

ـ اوه ، ولكن .. بالتأكيد يمكنك ..

وهنا صلصل جرس التلفون بعنف ، فتناول ساترويت السماع ، واذا سيدة تقول له :

ـ هل استطيع التحدث مع المستر ساترويت ؟

ـ نعم يا سيدتي ، انني هو ..

ـ انني الليدي شارنلي .. اليس شارنلي ، ولست ادري هل تتذكرني يا مستر ساترويت بعد كل هذه السنوات ؟

ـ اوه ، كيف يمكن ان انساك يا عزيزتي اليس ؟ اهذا معقول ؟

ـ شكرا يا مستر ساترويت . والآن اريد ان اتحدث معك بشأن

لوحة « وفاة المهرج » التي اشتريتها اليوم من معرض هاركستر . انني في حاجة الى هذه اللوحة يا مستر ساترويت لاسباب خاصة ، فهل اطمع في ان تتنازل لي عنها ؟

ورای المستر ساترويت انــه تلقى نجـدة من السماء في الوقـت المناسـب ، وكان يعرف ان اسباسيا جلين تسمع حديثـه طبعا ، ولكنها لا تسمع حديث الطرف الاخر ، ومن ثم قال مطمئنا :

ـ يسعدني جدا ان تقبليها كهدية ، ولكنني ارجو فقط ان تأتي الى منزلي الان ، فهل اطمع ان تحققي لي هذا الرجاء ؟

ـ اوه ، طبعا ! ان هذا اقل ما يجب ازاء كرمك . لســـوف آتي فــورا .

ولما وضع المسماع ، قالت اسباسيا جلين بغضب :

ـ اكان هذا الحديث عن اللوحة ؟

ـ نعم ، ولسوف تأتي السيدة بعد لحظات قصيرة .

فأشرق وجه الممثلة وقالت فجاة :

ـ لا شك انك طلبت حضورها فورا لتتيح لي فرصة اقناعها بالتنازل عنهـا لي .

ـ نعم . يمكنك ان تقنعيها اذا شئت . والان ، هل تسمحين بالانتقال معي الى الغرفة الاولى ، فان لدي بعض الاصدقاء الذين احب ان اقدمك اليهم ؟

وفتح لها باب غرفة التدخين ، ثم قال وهو يقدمها :

ــ المس جلين .. دعيني اقدم لك صديقي القديم الكلونيل مونكتون وصديقي الجديد الفنان المستر بريستو ..

ثم توقف عن الحديث فجأة حين رأى المستر كوين جالسا في المقعد الذي كان يحتجزه خاليا ، ثم اذا هو يبتسم ويستطرد قائلا :

ــ وصديقي المستر هارلي .. كوين .

وقال المستر كوين :

ــ لقد قدمت نفسي لهذين السيدين اثناء غيابك عن الغرفة يا ساترويت .

وكان ساترويت قد لاحظ ان المس اسباسيا جلين قد جذبت نفسا طويلا وتراجعت خطوة عندما نطق باسم صديقه المستر كوين . ولكنها لم تلبث ان تمالكت نفسها بعد لحظات ، ثم التفتت الى الفنان بريستو وقالت له :

ــ ما الذي جعلك ترسم هذه الصورة بالذات ؟

فهز بريستو كتفيه ثم قال وهو يختلس النظر الى المستر كوين :

ــ انني لا ادري على وجه التحديد . انه قصر مثير للخيال ، كما ان الشائعات كثيرة عن اشباحه وغرفه « المسكونة » وعلى كل حال اذكر ان صديقا اوحى الي برسم هذه الصورة بعد ان حدثني بمأساة اللورد شارنلي .

وفي تلك اللحظة ، فتح الخادم الباب واعلن وصول الليدي شارنلي .

واسرع ساترويت لاستقبالها ، وكانت قد بلغت الثلاثين من عمرها او اكثر قليلا ، وقد تذكرها وهي فتاة في ميعة الصبا ، ممتلئة حياة

وابتساما ، وقد اصبحت الان كالطيف الذي يتحرك في خفـة وروحانية مع الاحتفاظ بكل مقومات جمالها .

وقال لها ساترويت :

ـ شكرا لحضورك يا ليدي شارنلي .

ثم سار معها في الغرفـة . وبدا عليها انها تعرف الممثلة المس جلين ، فهمت بأن تقدم يدها اليها ، ولكن الممثلة ظلت ثابتة في مكانها ، فقالـت الليدي شارنلي معتذرة :

ـ أوه ، انني آسفة ، فقد خطر لي اني رايتك من قبل .

فقال المستر ساترويت :

ـ ربما على خشبة المسرح .. فهذه المس اسباسيا جلين .

وهنا قالت المس جلين بصوت ادهش ساترويت لما فيـه من تلوين مسرحي عجيب :

ـ انني سعيدة جدا بلقائك يا ليدي شارنلي .

ولما قدم بريستو اليها ، قالت وهي تبتسم :

ـ لقد التقيت بالمستر بريستو مرة .. في القطار .

وبعد ان عرفها بالمستر كوين الذي قالت عنه انها تذكر ان زوجهـا الراحل قد ذكر اسمه مرة او مرتين اثناء حديثه مع اصدقائه ، جلس المستر ساترويت وتنحنـح ، ثم قـال وهو ينظر الى المستر كوين بـين لحظة واخرى :

ـ اننا الان نجتمع على غير اتفاق سابق بسبب لوحة « وفاة المهرج » واعتقد ان في مقدورنا الان ان نعرف الحقائق التي كانت غامضة .

فقال الكلونيل :

ـ ما هذا يا مستر ساترويت ؟ هل تنوي ان تعقد جلسة روحية ؟

ـ لا ، ولكن صديقي المستر كوين يعتقد ، وانا أتفق معه ، على اننا نستطيع باعادة النظر الى احداث الماضي ان نعرف الحقائق كما هي ، وليست كما كانت تبدو في حينها .

فقالت الليدي شارنلي :

ـ الماضي ؟

ـ انني اعني مأساة زوجك يا اليس ، واعرف ان هذا الحديث قد يؤلمك ...

ـ لا ، انه لا يؤلمني ، ولم يعد ثمة ما يؤلمني الان !

ونظر ساترويت برهة الى الليدي شارنلي وقد بدت في رقة الطيف او الشبح ، ثم قال فجاة :

ـ انك يا عزيزتي تذكرينني « بالسيدة ذات الوعاء الفضي » التي يقال ...

طق ! وسقط فنجان القهوة من يد الممثلة اسباسيا جلين على الارض متحطما ، بينما استطرد ساترويت يقول :

ـ اننا نقترب .. نقترب جدا ، ولكن من اي شيء . لقد قتل اللورد شارنلي نفسه ، فلماذا ؟ ان احدا لا يعرف !

فتململت الليدي شارنلي في مقعدها ، ثم اذا بالفنان بريستو يقول فجـاة :

ـ ان الليدي شارنلي تعرف السبب .

ونظرت الليدي طويلا الى الفنان ، فاومـا لها براسه كأنما يشجعها على الحديث ، واخيرا قالت بهدوء :

ـ نعم ، انني اعرف السبب ، وهذا ما يجعلني ارفض العودة للاقامة في القصر .

ـ هل يمكن ان تخبرينا به ؟

ـ نعم . لقد عرفـت السبب حين عثرت على خطاب بـين اوراقه . وقد احرقته .

ـ وماذا قرات في هذا الخطاب ؟

ـ كان خطابا من فتاة ، فتاة فقيرة كانت تعمل مربية اطفال عند اسرة ميريام . وقد فهمت انه كان بينها وبينه علاقة حب انتهـت بأن حملـت منه ، وقد ظلت هذه العلاقة قائمة بينهما حتى اثناء خطبتي له . وقالت في خطابها انها ستخبرني انا بالحقيقة قبل ان ترفع الامر الى القضاء ، ولهذا اسرع وقتل نفسه .

وهنا قال الكلونيل مونكتون :

ـ اذن فقد وضح الامر وعرف السبب الحقيقي لانتحاره !

وهنا قال ساترويت :

ـ ولكننا لم نعرف السبب الذي من اجلـه رسم المستر بريستو

الصورة . ولكن يمكن ان نستنتج انه ، بخياله وروحانيته ، استطاع ان يرمز للمأساة بالجسد الملقى في الشرفة الكبيرة ، وبالروح التي تراقب الجسد من وراء النافذة المطلة عليها .

فقال الكلونيل :

ـ ولكن الجسد لم يكن في الشرفة ، وانما كان في قاعة السنديان كما رايناه .

ـ ربما كان الجسد في الشرفة اولا ، ثم حمله شخص ما الى قاعة السنديان !

فبدت الدهشة على الكلونيل وقال :

ـ اذن كيف راينا باعيننا اللورد شارنلي وهو يدخل غرفة السنديان سائرا ؟

ـ حسنا ؟ هل رايت وجهه ؟ هل انت واثق انه اللورد شارنلي حقا ؟ ما المانع من ان يكون الذي دخل غرفة السنديان شخصا اخر يرتدي نفس العباءة التى كان يرتديها اللورد في الحفلة التنكرية ؟ ومما اكد لكم انه هو اللورد شارنلي ، نداء الفتاة عليه لتبلغه رسالة شفوية !

فقال الكلونيل متهكما :

ـ واذا كان الذي دخل قاعة السنديان شخص غير اللورد شارنلي ، فأين ذهب او اختفى وقد كانت الغرفة مغلقة الابواب والنوافذ من الداخل ؟

ـ الم تقل ان بها مخبأ سريا في الجدار ؟

ثم رفع يده ليمنع الكلونيل من مقاطعته واردف قائلا :

ـ لقد اصبح الامر واضحا الان . فلنفرض ان شخصا ما قتل اللورد شارنلي في الشرفة الكبيرة ، ثم تعاون مع شخص اخر وسحب الجثة الى قاعة السنديان حيث وضع المسدس بجانب اليد اليمنى . ولكي يبدو الامر انتحارا ، دخل ذلك الشخص الى قاعة السنديان عن طريق الردهة وهو في عباءة اللورد شارنلي حتى يظنه من يراه انه اللورد . وكان قد اتفق مع شخصية ما لكي تنادي عليه باسم اللورد شارنلي حتى تجعل الذين يرونه من اعلى يتأكدون انه هو فعلا اللورد شارنلي ، وبعد ان دخل واغلق الباب من الداخل بالمفتاح ، اطلق رصاصة في الجدار ، وبطبيعة الحال لم يلحظ احد الثقب الذي احدثته بجانب الثقوب الكثيرة الموجودة ، ثم اختبأ في المخبأ السري . وكان طبيعيا بعد ذلك ان يظن الجميع ان اللورد انتحر ، لانه لم يكن هناك ما يدعو الى الشك في اي احتمال آخر .

وقال الكلونيل :

ـ انني لا زلت اؤمن بانه انتحر فعلا ، والدليل على ذلك هو الخطاب الذي عثرت عليه الليدي شارنلي في اوراقه بعد ذلك .

ـ ان هذا الخطاب مدسوس بين اوراقه عن قصد ، وقد كتبته ممثلة صغيرة بارعة كانت تأمل يوما ان تكون هي الليدي شارنلي بعد وفاة اللورد !

ـ ماذا تعني ؟

ـ انني اعني الفتاة التي اشتركت مع القاتل في تدبير الجريمة . والقاتل ليس غير هيجو ، شقيق اللورد ريجي شارنلي . ولكنا نعرف ان هيجو كان العضو الفاسد في اسرة شارنلي . وكان يأمل ان يرث اللقب والاملاك بعد مقتل اخيه . وقد اشرك معه في تدبير الجريمة وتنفيذ الخطة عشيقة له !

ثم استدار المستر ساترويت نحو الليدي شارنلي وقال :

ـ ما اسم الفتاة التي كتبت ذلك الخطاب ؟

ـ مونيكا فورد .

وهنا قال ساتروِيت للكلونيل :

ـ هل كانت مونيكا فورد هي التي نادت على اللورد شارنلي اثناء ذهابه الى قاعة السنديان يا كلونيل ؟

ـ نعم . انني أذكر هذا على وجه اليقين !

ولكن الليدي شارنلي اعترضت قائلة :

ـ ان هذا مستحيل . لقد قابلت مونيكا فورد بعد عشوري على الخطاب ، واكدت لي ان علاقتها بريجي شارنلي كانت حقيقية . وليس من المعقول ان تبلغ فتاة مثلها هذه الدرجة من البراعة في التمثيل !

وعندئذ نظر ساترويت الى الممثلة اسباسيا جلين وقال بهدوء :

ـ اعتقد ان ذلك كان في مقدورها ، لانها ولدت ممثلة بطبيعتها .

وقال بريستو :

ـ ولكن هناك نقطة واحدة لا تزال غامضة . اذ كيف استطاع القاتل ان يزيل الدماء بسرعة من ارضية الشرفة التي حدثت فيها الجريمة ؟

فابتسم ساترويت وقال :

ـ انه لم يكن هناك الوقت الكافي لازالة الدماء طبعا ، ولهذا نقل السجادة العجمية من قاعة السنديان ووضعها فوق بقع الدماء في الشرفة . وهذه العملية لا تستغرق اكثر من دقيقة .

ـ هذا معقول جدا . ولكن كان لا بد من ازالة آثار الدماء بعد ذلك على كل حال .

ـ طبعا ، طبعا . ان شريكة القاتل انتهزت فرصة الاشاعة الدائرة حول شبح السيدة ذات الوعاء الفضي ، فتسللت ليلا في ملابس بيضاء وهي تحمل وعاء فضيا من الماء لتزيل آثار الدماء ، وكانت مطمئنة الى ان الذي قد يراها ، سيفر هاربا منها .

ثم ابتسم ساترويت واردف قائلا للممثلة اسباسيا جلين :

ـ اعتقد ان هذا هو سبب سقوط فنجان القهوة منك حين ذكرنا شبح السيدة ذات الوعاء الفضي . اليس كذلك ؟ واعتقد انك شعرت بالخوف حين رايت صورة « وفاة المهرج » وقد خطر لك ان شخصا ما قد رآك مع القاتل اثناء ارتكاب الجريمة .

وهنا صاحت الليدي شارنلي وهي تحدق النظر في وجه الممثلة :

ـ انك انت مونيكا فورد . اليس كذلك ؟

ووثبت مونيكا فورد ـ او اسباسيا جلين ـ ودفعت ساترويت بعيدا عنها ثم وقفت امام المستر كوين ترتعد وتقول :

ـ كنت انا على حق اذن حين شعرت يومذاك ان هناك من يراقبنا . لقد كنت انت هناك ، ترانا من وراء النافذة المطلة على الشرفة . لقد رايت ما فعلنا ، انا وهيجو ، ولما رفعت وجهي الى النافذة خيل الي اني رايت لمحة من وجه انسان يراقبنا ثم يختفي وهذا ما جعلني اعيش في رعب طيلة هذه السنوات . ولما رايت الصورة وانت فيها واقف وراء النافذة تعرفت عليك . ولكن ، ما الذي جعلك ، تلزم الصمت كل هذه الاعوام ؟

فقال كوين بهدوء :

ـ ربما لكي يستريح الموتى في قبورهم .

وفجاة اندفعت اسباسيا نحو الباب وفتحته ثم قالت في تحد :

ـ افعلوا ما شئتم بي ، فقد احببـت هيجو حب الجنون ، وساعدته على تنفيذ خطته التي لم تصل بنا الى النتيجة المرجوة . وقد مات هـو محسورا في النهاية ، اما انا ، فاني اجيد التمثيل والتنكر كما قال ذلك الرجل العجوز ، ولن يستطيع رجال البوليس في العالم ان يقتفوا اثري . ولسوف ارحل عن البلاد في خلال اسبوع .. وداعا .

وصفقت الباب وراءها ، ثم لم يلبث الجميع ان سمعوا باب المنزل الخارجي وهو ينصفق ايضا .

وهتفت الليدي شارنلي والدموع تنحدر من عينيها :

ـ يا زوجي العزيز المظلوم . لقد عشت حياتي كلها وانا احقد عليك بسبب ذلك الخطاب المزيف . اما الان ، فأرجو ان تنـام في قبرك بسلام . ولسوف اعود الى القصر واشيع فيه نبضات الحياة من جديد .

ثم نهضت وتقدمت نحو ساترويت وقبلت وجنتيه وهي تقول :

ـ شكرا لك يا مستر ساترويت .. شكرا . لقد اعدتني الى الحياة مرة اخرى بعد ان كنت اعيش نصف ميتة .

ثم صافحت الفنان بريستو بحرارة وقالت له وهي تبتسـم في عينيـه :

ـ دعني اهنئك على عبقريتك ، وارجو ان اراك في اقرب وقت تزورني في قصري . ولعلك تستطيع ان تستلهم منه لوحات اخرى .

ولما انصرفت ، قال ساترويت للمستر بريستو :

ـ ماذا تنتظر ؟

ـ انتظر ماذا ؟

ـ الم تشعر انها تبادلك العاطفة ؟

فاضطرم وجه الفنان الشاب ، ثم نهض مرتبكا وهو يقول :

ـ اترى هذا حقا ؟

والتفت ساترويت نحو المستر كوين ليقول له شيئا ، ولكنه وجده قد رحل فجاة ، كما جاء فجاة ، فهز كتفيه وقال :

ـ لا شك انك حدثت المستر كوين بلقائك مع هذه السيدة في القطار ، فأوحى لك برسم هذه اللوحة وهو يعرف ما سيترتب عليها من نتائج . انه لا يهمه الحادث نفسه بعد ان انتهى ، ولكن يهمه الاحياء من العشاق . وارى انه نجح ايضا هذه المرة في اعادة الحياة الى سيدة لا تزال في رونق الشباب ، والى بعث خفقات الحب في قلبها لفنان شاب اسرع يا صديقي والحق بها ، ولن تندم .

تمت

الفهرست

بسر «دار الكتب الشعبية» لصاحبها

أحمد أكرم الطباع . ص.ب ٣٨٧٤ ــ بيروت

شارع سوريا بناية درويش

بأن تقدم للقارىء العربي الكريم الكتب التالية بأسعار شعبية

اسم الكتاب	المؤلف
● صديق الشدة	سومرست موم
● الساحر الجبار	سومرست موم
● كنت جاسوسا	سومرست موم
● الوادي الاخضر	جون شتاينبك
● قصة مدينتين	شارل ديكنز
● الآمال الكبيرة	شارل ديكنز
● أوليفر تويست	شارل ديكنز
● دافيد كوبرفيلد	شارل ديكنز
● أحدب نوتردام	فيكتور هيجو
● جزيرة الاحلام	سومرست موم
● أغلال الحب	سومرست موم
● ذات الشعر الذهبي	سومرست موم
● جريمة في القطار الازرق	اجاثا كريستي
● جريمة فوق السحاب	اجاثا كريستي
● موعد مع الموت	اجاثا كريستي
● جزيرة المهربين	اجاثا كريستي
● الرجل الغامض	اجاثا كريستي
● مصرع اللورد	اجاثا كريستي

اسم الكتاب	المؤلـف
● ساندريلا	اجاثا كريستي
● اللغز العجيب	اجاثا كريستي
● كفاحي	هتلر
● مرتفعات وذرنج	اميلي برونتي
● لقاء على الرمال	سوزان ايرتر
● جين إير	شارلوت برونتي
● البؤساء	فيكتور هيجو
● ذهب مع الريح	مارغريت ميتشل
● بائعة الخبز	كازافيه دي مونتابين
● الأم فارتر	جوته

هذا الكتاب

ـ انني اكره دائما ان تشير زوجتي لورا الى هذا الموضوع فان هذا البيت ، بعد الحادث ، بيع لرجل اعمال ثري ، ولكنه بعد عام بدأ يعلن عن بيعه بثمن منخفض ، وكثرت الشائعات عن وجود شبح فيه .. شبح صاحبه المنتحر . ولما دفعني لورا لترشيح نفسي عن دائرة كيديلبي ، اضطررنا للبحث عن منزل مناسب للاقامة في هذه المنطقة ، واغراني ثمـــن هـذا المنزل المنخفض ، فاشتريته ، وسواء صدقت الشائعات عـــن وجود الشبح فيه ام لم تصدق ، فان الانسان لا يحب ان يتذكر دائما انه يقيم في منزل انتحر فيه صديق له . مسكين ديريك كامل . اننا لن نعرف ابدا لماذا قتل نفسه ؟!

فقال اليكس بوربال بصوت مثقل بالخمر :

ـ انه ليس اول ولا آخر رجل ينتحر بلا سبب معقول .

الثمن ٥٠٠ ق ل. او ما يعادلها يطلب في المملكة العربية السعودية
من الوكيل العام سعد محمد المنداس
ص.ب ٣٤٢٣ تلفون ٨٢٥٧٥ الرياض